

جميل سلطان

ركنور في الآداب

وعضو المجمع اللغوي للدراسات السامية في باريس

الموشح

إرشا لاندلس الثمين

دراسة وشواهد

جميل سلطان

ركنور في الأدب

وعضو الجمع القوي للدراسات السامية في باريس

الموشح

إرشا لاندلس الثمين

دراسة وشواهد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عهدى بالموشح — وأدب الاندلس — قديم ، ولعله أقدم مما
يُتَخَيَّل ، فلقد كان ذلك من عهد العبا المبكر ، يوم كانت العين تتفتح
على حنان الآوة ، فترى المثل الطيب الصالح ، والنغم العذب الطروب ؛
وتشهد الاكابر للفن الدقيق ، والاعتصام بالتروم العيوف ، وتقرأ النظم
الرائق الجديد ، في اطار من روائع الوحي القديم .
ثم كان من أسس التوجه الى الادب ، ان تألق نور الاندلس كأبهر
ما يسحر ، فشغل أديبا من الزمن ما شغل ، واستنفد موشحها من
الجهد ما استنفد ، حتى اذا وليت ادارة الاذاعة عام ١٩٥١ ، كان الموشح
مما أُيِّد ونُشِط ، والله بعد ، اوفر عددا من كل اذاعة .
فان كان اتباع الموشح في الأدب والفن من عمر ، فهذه ثمرة عبقة ، ارفعها
الى من يعجز في الوفاء بحقه ، توجيهاً وتعلية ، وارشاداً وتقوية ، الى من
عرف رجال الفن من اطلاعه فوق مما عرفت ، وانغموا بثروته الفنية
اكثر مما انتفعت :

الى والدي

محمد سليم سلطان

ارفع حماد من عمل باخلاص ، ودعاني برّ ، واستشرف الى خير .

ج

دمشق ١٩٧٢/٧/١٩ و ١٩٥٣/٤/٣

مواد الكتاب

- ١ - فن التوشيح : طلائع التجديد في الشعر العربي . الموشح وحدوده الفنية ، الاقوال والآيات ١٣ - النام والأفرع ١٩ . الخرجة ٢٣ . استعارة الخرجة والآيات ٢٦ . الأساط والأغصان والتوشح ٣٠ . أصل الموشح وتطوره ٣٤ .
- ٣٧ - أوزان الموشح : الأوزان المروضية . الموشح الشعري ٣٨ . الأوزان الإيقاعية والجديدة ٣٩ .
- ٤٢ - خصائص الموشح الفنية : أغراض الموشح ، أسلوبه الفني مبني ومؤلف .
- ٤٥ - تألق الموشح : نشأة الزجل . الشرق يأخذ عن الغرب ٤٧ . هل اضمر الموشح ٤٨ . تعلق الناس به ٥٠ .
- ٥٢ - السابقون الى التوشيح : محمد بن حنود ٥٣ ، مقدم بن معاني ، ابن عبد ربه ، ابن القزاز ٥٤ . الرمادي ، ابن ماء السماء ٥٥ . ابن سناء الملك ودار الطراز ٥٦ .
- ٩١ - عباقره التوشيح : ابن عبد ربه ٩٣ . الرمادي ٩٥ . ابن ماء السماء ٩٦ . ابن القزاز ٩٧ . الحصري ٩٨ . ابن بقي ٩٩ . الأعمى النبطي ٧٢ . ابن باجة ٧٤ . ابن زهر ٧٥ . ابن سناء الملك ٧٧ . ابن سهل ٧٨ . لسان الدين بن الخطيب ٧٩ . ابن زمرك ٨١ .
- ٨٣ - حول الموشحات : آراء علماء الشرق والمشرقين : كرد علي فيلاسبا ٨٤ . شوقي خيف ٨٧ . وآراء الهنداوي والحضي وابن سأم وديمونين واشباخ ٨٧-٩٠ . ٩١ - الخاتمة

فن التوشيح

طه نزع النجم بر

انطلقت عبقرية العرب الشاعرة في الأجواء الاندلسية انطلاقاً
لم تكن لتعرفه من قبل في رحاب الشرق ، حينما كان يشغلها ما هي
فيه من قيود الوزن ، والقافية ، ووحدة البيت ، وانسجام الفكر ،
وتوازن المعاني ، ودقة الأداء في الكلام ؛

وتهاياً لملك العبقرية في الأندلس من آفاق الغنى المستفيض
والنعمة الهائلة ، وللذة الوافرة ، والطرب المثير ، ما لم يكده
يعرفه المشرق على ذلك المقياس من الغزارة والانتاع .

فكان جديراً بتلك العبقرية أن تسجل صورة ذلك الزمن
الرافه ، وتلك البيئة الطروب ، وأن تستجيب للتطور الذي ألفه
الأدب العربي على الأيام .

وهكذا جاءت العبقرية الشاعرة في أجواء سمحة ، وطلعت
على الناس بأدب موشع ، حطم كثيراً من القيود في الشعر .

ولكن هذا التجديد لم يكن بدءاً في الفن، ولا مرتجلاً في
الاسلوب، فقد ظهر في شعراء العربية المشاركة أيام بني العباس
من كان ينزع إلى التجديد في الاسلوب، ويبحث عن الحرية في
النظم، رغم ما عرف به المشرق من أناة في التطور الادبي،
وحفاظ على الطريقة الموروثة في القصيد، فكان أولئك النازعون
الى التجديد طلائع الانطلاق؛ ولو تهيأ لهم ما تهيأ للانداسيين
من بُعدٍ عن تيار المحافظة، وانغماسٍ في اللهو والهوى، وازدهار
في الفناء والطرب، مع الطبيعة الساحرة، والثروة الوفيرة، لو تهيأ
كل ذلك لأوصلتهم الخطأ إلى الموشع أو إلى شيء يشبهه .

وإذا عدت إلى تطور الأدب العربي وما رافقه من مظاهر فنية،
القيت في طبيعة الأدب نزوعاً إلى التجدد في الاسلوب والاعراض
فمن تلك المظاهر الفنية المتجددة ثورة طائفة من الشعراء
على المطالع الموروثة، من وقوف على الاطلال وبكاء للاحبة،
ونزوعهم إلى معالجة الموضوع رأساً، أو التهيؤ له بما يناسبه من حكمة
أو وصف أو غيره، مما عد خطوة في تجديد المطالع، كقول أبي نواس

لا تترك هندا ولا تطرب الى عدو واشرب على الورد من حراء كالورد

وقوله : (المقد ٢/٤)

طاج الشقي على رسم يائه
يكى على طلل الماضين من اسد
ومن تخيم ومن قيس ولقها
لاجف دمع الذي يكى على حجر
وعجت أسأل عن خارة البلد
لا در درك قل لي من بنو أسد؟
ليس الا طرب عند الله من احد
ولا صفا قلب من يصبو الى وتد

وقول ابي تمام :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وكان من مظاهر التجديد في الاسلوب تلك العناية الفائقة
بأنواع المحسنات البديعية المختلفة ، لفظية ومعنوية ، وكثرة الاعتماد
على الصور والاستعارات والكنايات والتجسيم والتشخيص في اداء
الافكار ، مما أشرنا اليه في كتابنا عن ابي تمام ،

وكان من مظاهر التجديد في الأغراض والاوزان ما نظم من
الاقاصيص والأمثال والحكم في مقطوعات او مزدوجات : كل شطرين
منها على قافية واحدة ؛ فقد ورد ان ابان بن عبد الحميد اللاحي نظم
كتاب كليله ودمنة شمراً ، ونظم ابو العتاهية قصيدته ذات الامثال
في اربعة آلاف مثل ، كما ذكر صاحب الاغانى ، وفيها يقول :

حسبك مما تدغمه القوتُ ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقادير فلمني أو فذر ان كنت أخطأت فما أخطا القدر
ان الشباب والفراغ والجدّة مفسدة للمرء أي مفسده
إن الشباب حجة النصاي روائح الجنة في الشباب

وخلد اديب الاندلس الكبير ابن عبد ربه غزوات الخليفة
عبد الرحمن الناصر ، وما أفاض على البلاد من أمن بعد حرب ،
في منظومة مزدوجة حاكي فيها طريقة أبي العتاهية في ذات
الأمثال ، فوصف الحياة الاجتماعية والحربية وما كان من أخلاق
الناصر الكريمة ، وحمته الرفيعة ، وسخائه الغمر ، وحروبه
المتواصلة ، واستيلائه على المدن ، وتدرج في ذكر كل ذلك بحسب
السنوات التي ولي فيها مقاليد الحكم في الاندلس ؛ وهي مزدوجة
طويلة تقع في أكثر من اربعمائة بيت فكان مما قال فيها :

(المقتد ٣ / ٢٠٩ - ٢٢٧)

مؤيد حكمت في عدائِهِ سيفاً يسيل الموت من ظبائِهِ
قد اشرقت بنوره البلاد واتقطع النشيب والفساد
هذا على حين طغي النفاق واستفحل التكاب والمراق
وضاقت الارض على سكانها واذكت الحرب لظى نيرانها

فأ تَلَدَ مَقِيلَهُ بِتُومٍ	تَأْخُذُنَا الصَّبِيحَةَ كُلَّ يَوْمٍ
طَبَقَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ	حَقٌّ أَنَا النَّوْتُ مِنْ ضِيَاءِ
وَجَابَ عَنْهَا دَامَسَاتِ الظَّلْمَةِ	هُوَ الَّذِي جَمَعَ شَمْلَ الْأَمَةِ
وَنَقَّرَ السَّيِّدَ وَالْمَسُودَا	فَجَمَعَ الْأَجْنَادَ وَالْحَنُودَا
فَكَانَ وَقْنَا بِالْهَ مِنْ وَقْتِ	حَقٌّ تَدَاعَى الْقُرْمُ يَوْمَ السَّبْتِ
وَقَدْ عَلَا التَّكْبِيرُ وَالصَّبَاحُ	فَاشْرَعَتْ بَيْنَهُمُ الرِّمَاحُ
وَفُزَّتْ أَفْوَاهُهَا الْخُتُوفُ	وَفَارَقَتْ أُنْعَادُهَا السِّيُوفُ
	وَوَخَّتُمَا بِقَوْلِهِ :

وَقَدْ شَفَى الشَّجِيءُ مِنْ أَشْجَانِهِ	ثُمَّ نَفَى الْأَمَامُ عَنْ عَنَانِهِ
وَطَهَّرَ الْبِلَادَ مِنْ أَرْجَاسِهَا	وَأَمَّنَ الْفَقَارَ مِنْ إِجْجَاسِهَا

وَكَانَ مِنْ مَنَازِعِ الشُّعْرَاءِ إِلَى التَّجْدِيدِ تِلْكَ الْمُسَمَّطَاتُ الَّتِي
تَتَضَمَّنُ أَحْيَانًا ثَلَاثَةَ أَشْطَرٍ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَكُونُ الشَّطْرُ الرَّابِعُ
هُوَ الْمُتَّبِعُ فِي السِّمِطِ إِلَى مَنَاهَا ، مِثْلُ قَوْلِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ .

وَشِيئَةٌ كَالْفَنَمِ	غَيْرُ سَوْدِ اللَّحْمِ
دَاوِيْنَهَا بِالْكَمِ	ذَوْرًا وَبِهِنَانَا

وَقَالُوا فِي تَعْرِيفِ الْمُسَمَّطِ مِنَ الشُّعْرِ : لِأَنَّهُ آيَاتُ مَشْطُورَةٍ
تَجْمَعُهَا قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ وَقِيلَ هُوَ مَا قُفِّيَ أَرْبَاعُ بَيُوتِهِ وَسَمِطُ فِي
قَافِيَةٍ مَخَافَةٍ ، كَمَا رَأَيْتُ فِي الْمَثَالِ الْمُتَقَدِّمِ ؛ وَقَالَ اللَّيْثُ : الشُّعْرُ الْمُسَمَّطُ :

الذي يكون في صدر البيت آيات مشطورة أو منهوكة مقفأة
ويجسمها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضي ، قال : وقال
أمرؤ القيس في قصيدتين سمطيتين على هذا المثال ، بسميات
السمطين ، وصدر كل قصيدة مصراعان في بيت ، ثم سائر ذو سموط
فقال في أحدهما :

ومستظم كشتت بالريح ذيل اقت بضرب ذي سفاق ميلة
فجئت به في ملتقى الخيل خيل تركت عناق الطير تحجل حواءه
كان على سر باله نضج جريال

وأورد أن برقي مسطط أمرى القيس :

توهمت من هند معالم الطلال عفا من طول الدهر في الزمن الخالي
• • •
مرايح من هند خلج ومصايف يصيح بمنائها صدى وعوازف
وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسفر ثم آخر رادف
بأسحمت من نوء السهاكين هطال

وأورد أن برقي لا آخر :

خيال هاج لي شجنا قيت مكابداً حزننا
حميد القلب مرهناً بذكر اللهو والطرب

سنتي ظبيةً عطلى كان رضاها عسل
ينوء بحصرها كفل يفيل روادف الحقب
يحول وشاحها قللاً * * * اذا ما ألبست شفا
رقاق العصب أو سرقا * * * من الموشية القصب
عيج المك مفرقها * * * ويصي العقل مسطفا
ونمى ما يؤرقها * * * مقام العاشق الوصب^(١)

وليس الدوبيت (البيتان) غير مظهر آخر من مظاهر

الاطلاق وذلك مثل قول ابن الفارض :

أهوى قرأ له المعاني رق من صبح جبينه أضاء الشرق
تدري بالله ما يقول البرق ما بين نايه وبين فرق

وقول الآخر :

ن جثرت بالحمى ولاحت نجم فاذا كره ولهي وما جناه البعد
قد كنت أقاسي البعد حتى رحلوا يا ليتهم عادوا وعاد الصد

فهذه وغيرها مما بسطنا عنه الكلام في « فنون الشعر »

محاورات للافلات من القيود القديمة ؛ واذا كان بعض
الفحول من الشعراء لا يرون في هذه المظاهر دليلاً على قوة

(١) انظر لسان العرب ٩ / ١٩٦ ، وكتابنا عن فنون الشعر

الشاعرية ، والتمكن من القريض ، وقد كان فريق آخر يرى أن التطور الفني يقتضي تجنب الشعر بعض قيوده القديمة التي يرزح تحت أثقالها ، وأنه لا بد من تطور فيه للدليل على الحياة ، لأن كل شيء لا يتطور قائم مرده إلى المأساة ؛ وما هي ذي الحياة العباسية نفسها قد أخذت بالتطور والانطلاق في كثير من المفاهيم الأخلاقية والاجتماعية والمعاشية ، وإذا كان الشعر ، وهو صنو النثر ، وأحد فرعي الأدب ، إذا كان مرآة تعكس مشاهد الحضارة الجديدة ، فما أجدره بأن يسارق الزمن ، ويساير الركب ، فيتأثر بتألق الحياة الجديدة ومنازعها في الحرية والمذاهب المختلفة .

ولكن الحياة في الشرق العربي تصطدم دائماً بالآثار الموروثة الذي ينظر إليه أبناؤه كأنه عنصر من عناصر البقاء والحلود ، أضف إلى ذلك أن البادية الرابضة على أبواب الحصار الجديدة هي مهد العربية ، ومعقلها الحصين ، يرتادها الفصحاء ، ويحج إليها العلماء ، وتهب منها نفحات البداوة العربية الخالصة ، فتشير في

قلوب المشاركة رسيس الحنين اليها ، وتؤثر فيهم نار الحفاظ على
 لغتها وطريقتها ، ولذلك كان من العمر والشدة أن يشق الشعر
 طريقه المتجددة في مثل هذه الرحاب ، ولكنه حينما غرت وحط
 رحاله في الانداس بعيداً عن تلك التواضع المحافظة ، قرباً من
 المؤثرات الأعجمية المختلفة ، كالعادات واللغة ، أخذ يرقل في
 مطارف التنميق والتهذيب ، ويحلق في آفاق جديدة مألوفة ، فكان
 ما رآه في الدنيا الجديدة مدعاة الى التعمل من كثير من القبود ،
 وإذا به يخرج على الناس في حلة جديدة من خالص نسج الانداس
 هي حلة التوشيع التي لم يعرفها المشرق قبل المغرب ، وقد اعان على
 تكوينها نهضة جبارة في الغناء والالحان ، نهيات للاندراس بفضل
 طبيعتها الجميلة ، وترفها المنرق ، ورحيل كبار المغنين والمغنيات اليه ،
 امثال زرياب والجواري فضل وعلم وقلم وقر والمجفاء ؛

الموسم ومردود الفنية .

فتنظم المذنون والشعراء الاندلسيون والمغاربة تلك الموسوعات
 وجعلوها « اسماطاً اسماطاً . واغصاناً اغصاناً ، كما يقول ابن خلدون ،

واكثرها منها ومن اعاريضها المختلفة ، وسموا المتعدد منها بيتاً واحداً ، والتزموا عند قوافي تلك الاغصان واوزانها متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان ، عددها بحسب الأغراض والمداهب ، (المقدمة ص ٤١) وسموا هذا النوع الجديد باسم الموشح نحو :

جزء
(قفل) : أَدِرْ لَنَا أَكْوَابَ . يُنْسَى بِهَا الْوَجْدُ . وَاسْتَحْصِرِ الْجَلَّاسَ . كَمَا اقْتَصَى الْوَدُ

• • •

جزء

دِينٌ بِالْأَصْبَا	شُرْعَا	مَا عَشْتُ	يَا صَاحِبِ
وَنَزَاهُ	السَّمَاءِ	عَنْ مَنْطِقِ	الْأَلَاحِ
فَالْحُكْمُ	أَنْ تَسْمَى	عَلَيْكَ	بِالرَّاحِ

• • •

(قفل) : أُنَامِلُ الْمَدَابِ . وَنُقَلِّكُ الْوَرْدَ . حَبِّ بَصْدَغِي آسَ . يَلُوبِهَا الْحَدُّ

• • •

لِلَّهِ	أَيَّامُ	دَارَتْ	بِهَا الْحُرُ
وَالرُّومُ	بِأَمِّ	بَاكِرُ	الْعَطَرِ
وَصَلَّ	وَالْمَاءُ	وَأَوْجُهُ	زُهْرُ

فمحن بالأصحاب . قد ختمنا عقد . ويا أبا العباس . لا حائك الجد

حليقة	مكا	فيا ابو بكر
ناب لنا عنكا		في السهي والامر
لا تنق ضنكا		من نوب الدهر

وانتم ارباب ما شيد الخد وان بلوما الناس فهم لكم صد

حليت (لنا) الدنيا	من بعد تعطيل
وجاء ما يحيي	بين البهاليل
اغر بالعليا	من فوق تحجبل

يختال في اثواب طرزها الخد . واغرى الايباس فما له حد

يبدأ انا شارب	للقهوة الصرف
وبين آنا تايب	لكن على حرف ^(١)
اذ قال لي صاحب	من حلبة الطارف

نديمنا قد تب نحن له واشد واعرض عليه الكاس . عساه يرتد

(دار الطرار ٤٧-٤٨)

(١) أي توبة غير ثابتة ولا متينة واقرب الى الارتداد ، واحسب

في الكلام اشارة الى آية من القرآن الكريم « ومن الناس من يعبد

الله على حرف وان أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابه فتنة انقلب

على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، (الحج ١١)

فالشطر الأربعة الأولى التي بدأ بها الموشح تسمى (قفلاً) وقد تألف القفل هنا كما ترى من أربعة (أجزاء) انتهى كل (جزء) بروي خاص (كواب - الوجد - الجلاس - الود) واذن فالموشح هنا مبدوء بقفل مؤلف من أربعة أجزاء ، وإذا عدت تنظر في الموشح رأيت بعيداً عنه قفلاً آخر وهو (أامل العذب - وقلبك الورد - حب بصدغي آس - يلويها الحد) وقد ألزم في هذا القفل ما ألزم في القفل الأول من الروي ، ومن عدد الأجزاء ، ومن الوزن .

وهكذا تجد القفل الثالث :

(فمن الأصحاب - قد ضلنا عقد - ويا أبا العباس - لا حاكك الجد) فقد ألزم فيه ما ألزم في الأول من الروي ، وعدد الأجزاء ، ولوزن ؛ واذن فاقفل يبق المثال الذي يجب أن يعتمد عليه في الموشح بالمحافظة على عدد أجزاء ورويه ووزنه

وإذا نظرت بين القفل الأول والقفل الثاني وجدت ستة اشطر يسمى مجموعها (بيتاً) ولكنه في الواقع ، وبالنسبة لما تعرفه من علم العروض ، مؤلف من عدة أبيات وإنما

المصطلح عليه في الموشحات ، ان نسمي ما بين القفلين (بيتاً)
ولو كان مؤلفاً من عدة اشطر .

فاذا نظرت في البيت وجدته مؤلفاً من ثلاثة اجزاء :

الجزء الاول منه هو : دن بالصبا شرعا ما عشت يا صاح

والجزء الثاني منه هو : وزه السما عن منطلق اللاحى

والجزء الثالث منه هو : فالحكم ان تسمى عليك بالراح

فاذا اخذت الجزء الاول منه وجدت له نوعين من الروي :

في الفقرة الاولى (شرعا) وفي الفقرة الثانية (صاح) وقد

التزم بها الوشاح ، فهذه اذن اصول البيت : وهي ان يتألف من

اجزاء وفقرات ويكون عدد مايجيء به الوشاح ووزنه ملتزماً في

بقية الايات ، اما الروي فلو شاح الخيار والحريفة في التزامه

وعدمه ، والافضل ان يكون الروي مختلفاً في الايات ، وها هو ذا

الوشاح يقول في البيت الثاني (بين القفلين الثاني والثالث)

لله	ايام	دارت بها الحمر
والروض	بسام	باكره القطر
وصل	والمام	واوجه زهر

فأنت ترى أنه لم يلتزم الروي الذي التزمه في البيت الاول ولكنه التزم الوزن وعدد الاجزاء .

وستنتج بمئذ ان روي أعاريض الاقفال وضروبها وعدد اجزائها واوزانها واجبة الالتزام في الموشح ، وهي الاصل الملتزم والاساس الذي يحتفظ به ، بينما لا يلتزم في الايات غير عدد الاجزاء (بما فيها الفقرات) والاوزان ، واذا ذكرت ان القفل في الموشح المتقدم مؤلف من اربعة اجزاء ، فاذكر الى جانب ذلك ان القفل في صنعة الموشحات لا يكون اقل من جزأين كقول بعضهم :

شمس قارنت بدرأ واح ونديم

والمشاح ان يبني قفله على اجزاء متعددة قد تبلغ الثمانية ، وربما بلغت الاجزاء التسعة او العشرة ، ولكن ذلك قليل نادر ، وعلى كل حال فاذا كان القفل الاول مؤلفاً من عدد من الاجزاء معين وجب ان تكون اقفال الموشح كلها مؤلفة من العدد نفسه ، ويندر في بعض الموشحات الشاذة التي لا يعمل عليها ان تكون أقفالها مختلفة اعداد الاجزاء ، كأن يأتي القفل الاول مؤلفاً من جزأين وبقيّة الاقفال من ثلاثة .

وجرت العادة ان يبدأ الموشح بقفل ثم ينهي بقفل وأن
يتردد القفل في الموشح ست مرات وعندئذ يسمى الموشح
(تاماً) فإذا لم يبدأ الموشح بالقفل وإنما ابتدأ بالبית سمي
الموشح (أفرع) وعلى هذا فالقفل اذن يتردد خمس مرات في
الموشح الأفرع وست مرات في الموشح التام .

فلننظر في موشح أفرع (لابن مناة الملاك ٩٦) مبدوء

بالبيت ، ولكنف بقسم منه :

دانت لي الدنيا	وواصل الوصال
من هو لي محبا	وصار لي خلا
لا أسمم النيبا	فيه ولا العذلا
ما اعطر القفيا	له وما احلى

نلك الخلس . من العمس . او اللبس . لقد كمل . بدر طرق
مثل الفلق . تحت العسق . حتى سرق . ألبس . اهل الصواب

ما صال حتى صاد	بطرقه الوسان
وصير الآساد	فرائس العزلات
واخلف الميعاد	واخجل السلوان
حبيب الوقاد	إن شيت والعنان

فيه قيس . تحت العمس . وقد حرس . ورد الخجل . بل رشق
حتى ابق . قلبى هرق . فالحقد . تشاب . بها نصاب

هذا الموشح كما ترى (اقرع) لانه مبدوء بالبيت لا بالقفل ،
وكل قفل فيه مؤلف من عشرة اجزاء ملتزمة الروي والوزن
مع التزام العدد .

اما ابياته فرددت في أصل الموشح خمس مرات ، وكل بيت
منها مؤلف من اربعة اجزاء ، وكل جزء مؤلف من شطرين
او فقرتين .

والفقرة في الاصل اما أن تتألف من القافية او الروي في كلمة
واحدة واما ان تنضم اليها بعض الكلام القليل المنظوم قبلها ، فمن
ذلك قول ابن سناء الملك (١٠٥) في البيت المؤلف من ثلاث
فقر وثلاثة اجزاء (والبيتان بين ثلاثة أقفال) :

(قفل) صافي . يا حنة الخلد . يا فتنة الناس . يا دعوة المظلوم

حبيبك . قد اشنعت مني . ولا اقول حبي
قرئك . يا غاية النخى . وومية المحب
فبيبك . من ولم يمدني . ولا رنى لقائي

بيت

عدي . فمت الوعد . لان وسواسي . يقول بالممدوم

عقلي . سببته باظطر . يحبي كما يحبت
شابي . شفته بظطر . من نمر ك الشثيت
قل لي . ان كنت غير ذا كمر . عهدي وقد نسيت

إني . . . باقير على العهد . . . لكنني ناسر . . . لسرنا المكتوم
واعلم بهذا هذا ان البيت يؤلف على الأغلب من ثلاثة
اجزاء ، ويمكن أن يؤلف من جزأين ، ويندر أن يكون من
ثلاثة أجزاء ونصف ؛ وقد رأيت ان الأجزاء التي تؤلف البيت
تتألف من فقرات ، فقد يكون جزء البيت مركبا من فقرتين
او ثلاث او اربع فقرات ، وقد يكون الجزء مفردا غير مؤلف
من الفقرات .

وهناك موشعا أقرع ، بدأه الوشاح البيت مؤلف من ثلاثة
جزاء وكل جزء فيه اربع فقرات ، ومن النظر في الفقرات
الآتية يتبين لك ان الفقرة تكون القافية وحدها حيناً ، وتضم
اليها بعض الكلام المظوم المردون حيناً آخر ؛ يقول الوشاح :

(عنوانه : انتم انما كنتم اكراس حنون في الخدمة ١٤٢٠ هـ ، وبصحيح بن ساء
الخدمة في عهد ساء اداة المروف تاس لزاركا في الخدمة ٢٩٩/٢ ولا يسميه
ان ساء الملك لاحد شانه في الموشحات التي سبها عن غيره في كتابه دار الطرار
ص ٦٥)

إني . . . ظبي حبي . . . تكلمه . . . اسد غيل (جزء به فقرات)
بيت { مدهي . . . وشف كمي . . . قرقعه . . . سلسيل
يستهي . . . قلبي بما . . . يعطيه . . . اذ يميل
(٢) م

قل { ذو اعتدال . يعزى الى . ذي نعمة نالت
(في طلال . تحت حلى . بطرالى دى نالت

ذو قنور . ذو غنج . ذو مرشع . العرر
العبير . في ارج . والحسن في . ملدس
كم يتبع . وجد شج . بالدس . مكنس
ذو اعتدال . لو عللا . انطق عن ساكت
وغرال . لو مقللا . الخط عن بهت

واعلم بعد هذا أن البيت اذا كان يتألف من فقرات ، فإن
القفل لا يتركب منها أبداً ، وانما يتركب من اجزاء ، والجزء
من القفل لا يكون إلا مفرداً ، بمعنى انه وحدة مستقلة ؛
واذن فاقوالنا نقيض تألف الاجزاء فقط ، واما الابيات
فنقيض تألف الاجزاء المؤلفة من فقرات متعددة او مفردة غير
مركبة ، والالتزام يقع في الاقوال على الوزن والقوافي وهما
الاجزاء ، ويقع في الابيات على الوزن وهما الاجزاء ، ويحسن
التوزيع في القوافي .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان بعض الوشاحين الماهرين
كانوا يخالفون القاعدة الاصلية حيناً في وجوب التزام الوزن

الواحد ، في الاقفال والبيوت ، ولا يقدم على هذا إلا البارع
في صناعة الموشحات ، العارف بايقاع الألحان ، فمن ذلك
قول ابن سناء الملك :

وإبدى بدر تسم فوق غصن	غزال قر من جنات عدن	بيت
فقل للبدر بدر الأفق عني	وولتى أحداً لا يقل مني	
فكرب لطرفي نائب	ان بدري عائب	(قفل)
واغواني ووالدي الرشيد	شقيت به وقيل لي السعيد	
وقاصر من شبائل الشهود	امير من مماله الجود	
لقد علا اعلى المراتب	وحكيم كاتب	

على ان هذا الخروج عن التزام وحدة لوزن في الاقفال
والأبيات قليل نادر .

وبعد فاذا نظرت إلى أي موشح كامل وجدته ينتهي
(بقفل) ، وهذا القفل الأخير من الموشح يسمى (فرجه) .
ويشترط الأولون ان تكون هذه الخرجة حلوة عذبة ،
نحلب الألباب وتهز النفوس ، يقتل إليها الشاعر عن طريق
(قال) او (قلت) او (غنى) او (غنيت) على لسان
الطير او الحب او السكران او غير ذلك .

فمن ذلك قول عبادة التراز عبي الله الخيام في موشح مدح فيه المنصور
ولم يند الأساسيين واتقى فيه إلى قوله :

حاراً يحكم	•	اعتيت شمد	•	الآن
إلى همم	•	جازت أميد	•	كرون
كل الأمام	•	بذاك يعتد	•	
وفي الكرام	•	كلاهما فرد	•	
ان الخيام	•	في أيديها تشدو	•	

قل هل علم • أو هل عهد • أو كان
كلامهم • والمتخذ • ما كان

ولهم في الخرجات رأي غريب ، وها هو ذا ابن سناء الملك
يقول : « والشرط فيها (أي الخرجة) أن تكون حجاجية من
قبل السخف ، قُزماية من قبل اللحن ، حارة محرفة ، حادة
منضجة ، من الفاظ العامة ولغات الدائمة^(١) » فان كانت معربة
الألفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقوال
خرج الموشح من أن يكون موشحاً اللهم إلا أن كان موشح
مدح وذكر المدوح في الخرجة فانه يحسن أن تكون الخرجة
معربة (ص ٣١)

(١) الدائمة : جم الدائم وهو اللحن . اشتهر في مدح في المشرق
بشواهد والهزل ، واس قرمان واللحن والزحل في المغرب .

وإذن فن كان الغرض من الموشع مديحاً أو كلام بجد ،
 فلا بد من مراعاة القواعد النحوية والصرفية في الخرجة ، وإن
 كان الغرض لهواً أو مجوناً أو تندرأ فلا بد من أن يجول الشاعر
 بحال المجان من الشعراء الذين لا يبالون أن يتعرضوا إلى
 الدعارة والفسوق في أفوالهم وأن يخرحوا على القواعد النحوية
 المألوفة أو الكلمات الصحيحة ، ومن أجل هذا كثرت ألفاظ
 العامة وسخفهم وطريقتهم غير المعربة في كثير من الموشعات
 وفي الخرجات خاصة ، وإذا كان ابن سناء الملك قد ذهب
 إلى أن تلك الطريقة أصل في الموشع وأنه لا بد من سلوك
 ذلك الملك من اللحن والتحلل من القيود فإت الإيشيبي
 (٧٩٠ - ٨٥٢ هـ) قد أنكر اللحن على الوشاحين ورأى أن
 الموشع والمروض والدوبيت يجب أن تكون معربة أبداً ولا

يفتقر فيها اللحن (المستطرف ٢/ ٢٧٧)

كما ورد من المرحات العامة قول ابن أبي : (٣٢ و ٧١ دار)

أنا وأنا أسوة هذا المعجز

بالصبر بفتنا مع انصداع المعجز

وما رحلتنا	غنى الجوى في صدري
سافر حبيبي	سحَرَ وما ودعوتو
يا وحش قاي	في الليل إذا انكرو

وكان المتقدمون ينصحون بأن ينظم الشاعر الخرجة قبل نظم الموشع ، لتكون الخاتمة مهيأة بما فيها من طرافة أو سخر أو مجون أو تصريح بما لا يرضى من القول ، فإذا لم يتبها له شيء من المعاني الصريحة أو المجون الظاهر في خرجة مناسبة فلا بأس بأن يستعير من شعر غيره ما يوجب أو يطرب ، فيتخذ خرجة لموشعه من قبيل الاستعارة والتضمين ، وهذه الطريقة عندم أصوب وأفضل ممن يحدّ ويعرب ، فلا يخف ولا يطرب ، وإذا لم يجد ما يناسبه في العربية المألوفة ، فلا لوم عليه ان يستعير ذلك من الأعجمية أو العامية ، كل ذلك جرياً وراء المعنى السوقي ، واللفظ الصريح ، والفكرة الغريبة ، أو الأدب المكشوف ، ومراعاة المذوق الذي فسد بحكم اللحن فيه ونبوته عن الفصحى ، وقد دللنا أديب الأندلس الكبير ابن شهيد الذي عاش في القرن الخامس على مبلغ ما وصل إليه انتشار

الاحن حين قال عن عصره إنه « ليس لسيدويه فيه عمل
ولا للفراهيدي إليه طريق » . رساله التوايع والروايع في لحدية (٢٢٩/١)
فن الخرجات الجيدة المستعارة ما تراه في آخر هذا الموشع
الذي يتركب قفله من جزأين وبيته من ثلاث فقرات .

شمس قارنت بدرا راح ونديم
أدرا أوس الحمر عبيرة النشم
وقد درع السهرا هبوب النسيم
وسلت على الأفق يد الغرب والشرق
وقد أضحك الزهرا بكاء اليوم
ألا إن لي مولى تحك فاستولى أما إنه لولا
دموع تفضح السرا لكت كنوم
أنى لى كمان ودممي طوفان شبت فيه نيران
فن أبصر الجرا فى لج يوم
إدا لامني فيه من رأي تحية شدوت أغنية
(لعل له عذرا وأنت تلوم)

فهذا الموشع يتضمن ستة أفعال ويبتدي بواحد منها وفيه
خمسة أبيات فهو موشع تام وفي آخر البيت الخامس سبيل
النوصل إلى الخرجة وهو قوله (شدوت أغنية) وهذه الخرجة

التي انتهى بها مستمارة من الشعر القديم يتمثل بها في أما كن
 الاعتذار عن اللوم : لعل له عذراً وأنت تلوم :
 ولابن الوكيل موشح أخذ له اعجاز قصيدة ابن زيدون
 المشهورة وجعلها خرجات فقال :

يا صاحب السجوى	قف واسمع	في
ياك أن تهوى	إن الهوى	يضفي
لا تقرب السجوى	اصمع	وقل عفي
بحاره	مرة	خضنا على غرة

حيناً فقام بنا للدمى ناعينا

من	هام	بالفدى	لاقي	م	ها
بذلك	مجهودي	لأحور	ألمى		
م	بالجود	ورد	ما	هنا	
وعندما	قد جاد	بالوصل	او	قد	كاد

أضحى النسائي بدلاً من تدانينا

(نظم الطيب طبعة الرغامي ٢٢٤/٥)

وكان ابن المعتز قال في قصيدة له :
 علموني كيف أسلو وإلا فاحجبوا عن مقلتي الملاحا
 فجاء ابن بقي وهو أحد الوشاحين المشهورين ، وجعل البيت
 خرجة فقال في آخر موشحة له :

لست أشكو غير هجر موصل

مذ منعت القلب عن عدل عادل

وتغيت لهم قول قابل

علموني كيف اسلو ولا فاحجبوا عن مقلتي الملاحا

واستعاره الأبيات من الشعر الموشح لا يقف عند القفل

الآخر، فربما عمد الموشح إلى أخذ بعض الألفاظ من الشعر

القديم ليجمعها في بيت من أبيات موشحه، وهذا كمداحهم

يقول :

يقولون ت والكأس في كم أشيد وصوت المثاني والمثالث طار

فقلت لهم لو كنت اصحرت تونة وابصرت هذا كله لبداني

فقل ابن بقي، وحل في موشحته هذين البيتين وجعل

الاستعارة ضمن الموشح :

قلوا ولم يقولوا صواباً

افئيت في المجون الشبابا

نقلت لو نويت متابا

والكأس في يمين غراي وصوت في المثالث طار لبداني

الاسماء والافعال والنظم

وإذا عدت بعد هذا تنظر في تركيب الموشح وترتيبه ، وكيف يبدأ بالقفل ، وبمقبة البيت ، ثم يتداول النظم ما بين أمور أساسية ملتزمة ، وفروع يلتزم فيها شيء ، ويطلق شيء آخر ، إذا نظرت في ذلك تبين السبب في تسمية بعضهم القفل (باللازمة) لما يلتزم فيه من الروي والوزن والعدد في جميع الأفعال ، وتسمية البيت (بالدور) لأنه يدور فيأتي غيره مكانه مما هو غير ملتزم الروي في المصدر والمجز ، كما أنك تستبين ما عناه ابن خلدون في مقدمته حين قال عن الموشح : « ينظمونه أسماطاً أسماطاً ، وأغصاناً أغصاناً ، بكثرون منها ومن أعاريفها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ، ويأتممون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القصة ، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب . ويظهر لك من كلام ابن خلدون أن في الموشح أيضاً نوعين من التسمية هما الاسماط والأغصان ،

ويريد بها الاقفال والآيات بدليل قوله « إنهم يكثرون منها (أي من الأغصان) ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً » ، وقد رأينا كيف تعدد الأشرط وتؤلف البيت ، ويظهر من قوله أيضاً أن الأغصان هي الأجزاء التي تؤلف البيت ، بدليل قوله « ويشتمل كل بيت على أغصان » .
فالأسماء إذن هي الأقفال ، والأغصان هي أجزاء الآيات ،

وهو ما نرجحه ، وإن كان بعضهم يرى أن السمط هو القفل والبيت معاً ، وينفي هذا الرأي ما ينشأ عنه من نتيجة . ذلك أننا إذا سلمنا بأن السمط هو القفل والبيت الذي يليه معاً ، فأن يكون الفصن ؟ ومنشأ هذا التردد ، أن الذين تحدثوا عن الموشحات من القدامى ، لم يحددوا الأسماء والأغصان بأكثر مما حدده ابن خلدون ، حتى أن ابن سناء الملك وهو من أوسع من تحدثوا عن صناعة التوشيح لم يحدد الأسماء والأغصان .

ومن الغريب أن يذهب بعض المؤلفين الأجلاء إلى تسمية مقلوبة فيرى أن القفل الأول هو الفصن ، وأن البيت الذي

بليبه هو السمط ، وان القفل الثاني هو القفل ، وان مجمرع هذين
الاثنين (السمط والقفل) هو البيت ، وامل هذا راجع الى
عدم تبين عبارة ابن خلدون في بعض أماكنها الغامضة .
والناظر في أمثلة ابن سناء الملك العملية التطبيقية يرى وجه
الصواب الذي بسطناه ، ويجلو الغامض من عبارة سواه .
وأصل التسمية في الأسماء ترجع الى المعنى اللغوي في
السمط ، فهو الفلادة او الخيط فيه لآلى واحجار كريمة
أو خرز ثمين ، وقد شبهوا به القفل إذ كان كالفلادة في الموشح
وشبهوا الآيات بالأغصان ، إذ كانت متشعبة متفرعة ؛
وأما أصل تسمية هذا الضرب من الشعر باسم الموشح ، فلا شك
في أنه يعود إلى طريقة نظمه وترتيبه ، وتقسيمه إلى نظم ،
ومخالفته بين الأفعال والآيات ، جملاً ومترابعة ، فقد أوحى
هذه الأمور كلها ان تستمار كلمة التوشيح من اللمة ، إلى هذا
النوع من الشعر ، فأخذت الكلمة من توشيح الثوب إذا طرز

ووشي . ووضعت له الحجارة الكريمة ، والوشاح : أديم عريض
المسح ، يرصع بالخواهر والآلي ، في نظمين متخالفين مطوف
أحدهما على الآخر ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، والتوشع
بالثوب هو أن يدخل الرجل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه
على منكبيه لايسر ، كما يفعل المخرم في الحج ، ثم يعقد طرفيهما
على صدره .

وعرف عن الموشحة من الطباء والشاة والعاير أنها ذوات
الطرفين من جابيهما ، والوشحاء من الماز السوداء الموشحة ببياض ،
والديك الموشع هو الذي له خطتان كالوشاح .

ولما أتم ابن سناء الملك كتابه (دار الطراز) في عمل الموشحات ،
لاحظ معنى الموشع الموشح في اسم الكتاب ، فان أصل دار الطراز :
المصنع الذي تصنع فيه الثياب الحريرية الموشاة التي كانت تعمل
للأمراء والسلاطين ، كما سيأتي الكلام على ذلك فيما بعد .

أصل الموشح وتأوره

ولك أن تتساءل بمدى، عن هذا المنزع في الحرية الشعرية وكيف خرج به أهلوه إلى الكلام المملحون واللفظ الأعجمي الردي، وما كان للشعر الذي أحب أن ينطلق من القيود القديمة، أن يسف إلى هذا الموضع، فيتبدل بالفصاحة عجمة، وبالجهد هزلاً، وبالجودة رداءة وإسفافاً.

وإذا كان اللحن قد شاع في ربوع الأندلس أيام الموشحات فما هو فيما أحسب أكثر ذبواً مما ترى في عصرنا الحاضر، ومع ذلك فالتاس اليوم لا يرتضون من الشعراء مثل ما كان يرتضي الأندلسيون.

وأحسب أن سر ذلك الإسفاف، كثرة الاختلاط بالأعاجم من أهل جزيرة الأندلس، فقد كثر التزاوج بين الجنسيتين: العربي والأسباني، واستسلم القناخ لمادات المغلوب، وكثرت أنواع الملاحى التي أغرق فيها الشعب العربي، والجبل المزيج، واتصلت الأفكار بين العرب وغيرهم، وكان أدب الأسبان

في ذلك العهد لاتذبأ برعاه الخواص ، وكان للأسبان عامية
نشأت عن الأصل اللاتيني ، كما نشأت لغات عامية ثانية في بلاد
الأفراسيين والطيان وغيرهم ، وكان للعامية الاسبانية شعراء
يتفنون بأشعارهم التي ينقصها السكال في الأوزان والقوافي ؛
وهنا يرى فريق من الباحثين ان تلك الاغاني الشعبية الاسبانية
التي كانت على مسمع ومرأى من العرب ، هي التي دعت
الفاحين الى أن يقلدوا في التحرر من القوافي والأوزان ، وان
يميلوا إلى الألفاظ الأعجمية الشائمة ، وساء عدم على ذلك ما وجدوا
في الشرق من محاولة الاطلاق من القيود الشعرية الموروثة ،
ويستدل الذين يقولون بتأثير الاغاني الشعبية الاسبانية على الشعر
في نشأة هذا الفن ان أوزان الموشحات لا تنطبق على أوزان
الشعر المعروفة ، وانها تعتمد على صنعة القناء أول ما تعتمد .
وإذا كانت الألفاني الشعبية الاسبانية غير موجودة الآن
لتصح المقارنة بينها وبين الموشحات ، فهناك مقطوعات شعراء
التروبادور الذين كانوا في جنوب فرانس في القرن العاشر

والخادي عشر ، فقد كانوا يفتشون بها ويتفعلون ويمدحون ويصفون ، إلا أنها كانت هزيلة المعاني لا تآزم القوافي الواحدة ، بل أنها لتغير بعد كل ثلاثة أجزاء أو ستة ، مع محافظتها على الوزن الذي ترد فيه أولاً .

وقد عاشت هذه الأناشيد في القرن الثاني عشر ، وهو العصر الذي عاشت فيه الموشحات ، ولذلك يغلب على ظن ذلك الفريق ان تكون أناشيد التروبادور موشرة في نشأة الموشحات ، أو على الأقل عاملة على تأييد بعض خصائص التواشيح ، من عامية وانطلاق ، فان ما عرفه الأندلسيون العرب من ذلك الغناء مع ما عرفوا من بدء انطلاق الشعر ، حمل فريقاً منهم على ابتكار الفن الجديد ، فبدأوا أولاً بتقليد الشرق في الانطلاق ثم نظموا للغناء أيام ازدهاره ، ما جمع بين خواص الشعر والاعاني فكان فن الموشحات .

أوزان الموشح

يلاحظ قاري الموشحات أمراً مهماً في أوزانها ، إذ يراها خارجة على الأوزان المعروفة في كثير من الأحيان ، ولواقع أن الموشحات على ضربين : الأول منها ما جاء على أوزان العرب ، والثاني ما لا وزن له فيها ، ولا المأم له بها . فاما الضرب الأول ، وهو ما جاء على أوزان الشعر القديم فقسمان : قسم بقيت أفعاله وأبيانه موافقة لأوزان الشعر القديم فلم ترد فيها كلمة تخرجها عن تلك الأوزان ، فكان الشاعر لم يتحرر من الأوزان القديمة ، ولا استفاد من الرخص الجديدة ، ولذلك ترى بعض العلماء لا يعدون هذا شيئاً في فن الموشح ، ولا ينظرون إليه نظرة الاعتبار والتجويد ، وربما عدوه من قبيل المحمسات ، وقد يحتلون ذلك الموشح محل الاعتبار ولو كان طبق الوزن القديم إذا كانت أفعاله وأبيانه مختلفة القوافي ، فانه يخرج عن المحمسات ويعتبر موشحاً أصيلاً كالوشح المشهور : (٣) م

أها الثاني اليك المشكى قد دسوناك وإن لم تسمع
 نديم حمت في عرته
 وشرب الراح من راحه
 كذا - انيقط من مسكرته
 جذب الريق اليه واتكا وسقاني اربعا في اربعم
 ويسمون أشباه هذا الموشح بالوشح الشعري اذ ينطبق كل
 الانطباق على بحر (الرمل) ، أحد البحور : ربيعة المعروفة
 ولا يخرجها عن هذا البحر حركة ولا كفا.

وأما القسم الثاني فهو ما التزمت فيه الأوزان الفرعية ولكن
 تخللت كلمة أو حركة أخرجت من أن يكون طبق تلك الأوزان
 كقول الوشاح :

صبرت والصبر شعبة الثاني ولم أقل للعطيد هجراني معذبي كفاني
 فهذا من (المنسرح) لولا قوله : (معذبي كفاني) فانهما
 أخرجتا الموشح عن المنسرح ، ويسمى أشباه هذا الموشح بالوشح
 الشعري الذي أخرجته كلمة عن أصله ؛ ومثله :

ياوخ صبر الى الريق (ي) له نط . وفي البكاء مع الوراق (ي) له وطر
 فهذا من (البسيط) ، ولكن التزمت في الوسط قافية منجركة

بالكسر ، ونكلف الوشاح لها الى آخر الموشع .

ولو عدت نقرأ البيت مع مد حركة الكسر (آخر القاف)
وشباعها حتى نصبح ياءً لوجدت ان البيت لم يخرج عن
البسيط فهو موشع شعري أمرجهة بخروجها عن أصل .

هذان هما القسمان من الموشحات الشعرية التي تنطبق على
الأوزان القديمة ، ويلاحظ في هذا المقام أن الوشاحين كانوا
يعتمدون في الموشحات الشعرية على البحر الخفيفة أو القليلة
الاستعمال كالرمل والمزرح والمضارع والمقتضب والمجث .

وهناك ضرب ثانٍ الموشحات وهو ما يد وزن له من
أوزان الشعر الغريب ولا التام له بها ، وهو الأكثر عدداً في
الموشحات ، البعيد حصراً في الأوزان .

وهذا الضرب لا يعرف إلا بالتأحين ، ولا يعلم صحيحه من
مكسوره إلا في الغناء به على الأَرغَن ، وهو الأصل ، أو على
غير الأَرغَن ، وهو مستعار .

وكان ابن سناء الملك قد حاول أن يضع لهذه الموشحات المنحرفة من الأوزان القديمة ضوابط وأوزاناً خاصة ، فاعجزه ذلك ، وجاء أخيراً المستشرق الألماني (هارتمان) فحاول إرجاع تلك الأوزان إلى ستة وأربعين ومائة وزن أو بحر ، مشتق من البحور أو الأوزان العربية المعروفة من قبل ، ولكن ذلك كان من قبيل التكافؤ أولاً ، ثم انه لم يستطع أن يمحصر كل الموشحات المعروفة ضمن نطاق من الأوزان المقررة ، إذ بقي كثير من الموشحات لا تخضع للأوزان التي أوجدها ، والسبب في ذلك كونها في الأصل متعلقة بالتلحين والغناء كما مر ، فتجد الأبيات في بعض الأحيان على أوزان الأفعال ومن أبحرها ، وتجد في بعض الأحيان الأخرى تبيناً بين أوزان الأفعال وأوزان الأبيات ، بسبب ما تقتضيه صناعة الغناء والالخان مما كان يعرف في أيام ازدهار النواشيع ، فصنعة الغناء إذن هي الميزان الذي توزن به الموشحات المضطربة الأوزان المختلفة الالخان ، وكان اللحن الموسيقي وحده هو الذي يعدل من اضطراب الموشح ، كما كان

الدوق الفني وحده هو الذي يميز بين الصحيح والسقيم ، ومن هنا تبين ان من العمل الذي لا يجدي ان نستقصي الاوزان ونحصرها في هذا الفن ، وان نحاول اقامة أوزان مقررّة للنظم في الموشحات ؛ هذا ولا بد من الاشارة هنا الى انتفاع فريق من الوشاحين من بعض الاوزان المستحدثة والمشتقة من الاوزان القديمة ، ولندكر هنا المحاولات في ايجاد اوزان جديدة كالمستطيل المأخوذ من الطويل والذي وزنه (مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن) صرّين ، وكالممد (فاعلن فاعلان فاعلن فاعلان) صرّين ، وهو عكس المديد ، وكالممد ووزنه (فاعلان مستقمان) صرّين ، وكالمسرد ووزنه (مفاعيلن مفاعيلن فاعلان) صرّين ، وكالمطرّد ووزنه (فاعلان مفاعيلن مفاعيلن) صرّين .

فكان من هذه الابحر الجديدة مع الابحر القديمة المهمة أو المستعملة ، ثروة عروضية للموشح فضلاً عما كان يُعتمد عليه في صنعة الغناء من وزن ايقاعي .

خصائص الموشح الفنية

أغراض الموشح

تناول الموشح جميع أغراض الشعر من غزل ووصف ومدح ورثاء ، وهجاء ، ومجون ، وزهد ، وصمّي ما كان لازهد خاصة باسم (المكثّر) ، وجرت العادة في هذا النوع من الموشحات ألاّ يعمل إلا « على وزن موشح معروف ، وعلى قوافي أفعاله ، وإن يختم بخرجة ذلك الموشح ليبدل على أنه مكثّره ومستقبل ربه عن شاعره ومستفهره » كما يقول ابن سناء الملك ص ٢٨ . وشاع نظم الموشح في الفنون والأغراض المختلفة وتجاوز فيه الوشاحون الناية من اللطف « فاستظرفه الناس — كما قال ابن خلدون ص ٥٤٢ — جملة ، الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقته » .

على أن هذه السهولة قد خرجت بالموشحات عن النظم المتين الرصين ، واللغة الحزلة القوية ، مما عرف به الشعر العربي

أيام اردهاره ، وأخذت اللغة الادبية في الموشحات ترتدي طابع
اللين والركة حتى نافت في بعضها مبالغ الركاكة ، والهلالة ، بل
مبالغ الاعتماد على العامية الهريفة واللحن المغتفر المطلوب ، وتلك
غاية لا تحمد ، وإن كانت الغاية من الموشحات قبل كل شيء
استجلاء الطرب ، وإمتاع القلوب .

وشحنت الموشحات بأنواع الخيال المرح ، وكثرت الاستعارات
والمجارات والنشايه والكنائيات والمحسنات اللفظية والمعنوية
كالنورية والجناس وغيرها .

وغنيت الموشحات بالانفاظ الموسيقية العذبة التي تسحر
بمعناها ، أكثر مما تؤثر بمعناها ، والتي تطرب بريقها ، أكثر مما
تعجب بصحتها ، فقد كان الانفاظ المطرب هو المقصود ، وإذا
تواتر الخلل على تراخ في المعاني وعدم ترابط بين أجزائها
فإن ذلك لم يكن عيباً ما دامت فكرة التخييل هي السائدة ،
وما دام الإيقاع الحسن هو المطلوب ، ولذلك تقف عند
بعض الموشحات وقفة من لا يجد بين المعاني وشائج وثيقة

تربط بعضها إلى بعض ربطاً محكمًا ، لأن التسلسل المنطقي في
العبارات ، والتتابع الفكري في المعاني ، لا يقصدان بمقدار ما يقصد
حسن توالي الكلمات ، وجمال جرسها الموسيقي ، وعذوبة وقعها
في النفس والأذن .



تألق الموشح

وفناء الزمّل

لا ريب في أن تعدد الأوزان واختلاف القوافي ، والاعتماد على الألحان ، والضرب على الآلات ، والجنوح إلى المعاني الطريفة والأفكار الغريبة ، كل ذلك كان السبيل إلى أداء الغرض الذي ترمي إليه الموشحات ، من اشاعة الطرب في النفوس وإدخال اللذة إلى القلوب ، وهذا سر رواج فن التوشيح في الاندلس ، بلد الهوى اللعوب ، والجمّة الوارفة ، ومنه انتقل إلى بلاد المغرب ، وعنها أخذ المشرق هذا الفن البديع ، ولكنه لم يلحق رجال الاندلس السابقين إليه ، وليس معنى هذا ان المشرق لم يجلّ في هذا المضمار ، ولا كان لشعرائه من التجويد فيه نصيب ، وهذا ابن مناة الملك المصري في دار الطراز ، يعقب على موشحات الاندلسيين بموشحات من نظمه ، وفيها ما هو من الفرر في هذا الفن ، فكأنما كان يتحدث المتقدمين بما جاء به ، رغم إظهاره للتواضع في مقدمة

كنايه، واعتذاره بأنه لم يأخذ هذا الفن من منبعه ، ويقول
ابن خلدون عن إحدى موشحات ابن مناة الملك ، أنها اشتهرت
شرقا وغربا، وهي التي يقول في مطلعها تمهيدا :

يجبى ارفع حجاب النور ^{عن}
نظر المسك على الكافور ^{في}

العدار
جلندار

ثم يبدأ بالأفعال والأبيات فيقول :

كلبي . يا سحب تيجان الرى بالحي
واحلمي . سوارها منعطب الحدود
يا سما . فيك وفي الأرض مجوم وما
كل . أخفيت نجما أظهرت اجمما
وهي ما . تهطل الا بالكي والدماء
فاعطلي . على فطوف الكرم كي تنلي
واقلي . لادن طعم الشهد والدوئل
تقد . كالكوكب الدرى المرتصد
يعقد . فيها الجوسي بما يعقد
فاعد . يا سافي الراح بها واعتمد
واملي . حق تراني عنك في معزل
فلتلي . فالراح كالعشق ان يزد يقتل

لا اله . في شرب صها وفي عشق ريم
 «لعمري عيش جديد ومدام قديم»
 لا الهيم . الا هذين قَم . هـ . قديم
 واحل لي . من أكؤس خبرت من فوق
 الدلي . من نكهة العبر والمدن

(مقدمة ٤٨ هـ والمستطرب ٢٧٨/٢ والزهوار (إس ٢١٦/٢)

وهكذا نجد فن التوشيح ينتقل من المغرب الى المشرق
 ويخرج من أفق المغنيين وأهل اللهو والطرب ، إلى آفاق
 رجال العلم وشيوخ الأدب ، ثم يستفيض بين الناس ، وينحدر
 إلى العامة بعد أن كان يأخذ منها الطرفة والملاحاة ، وإذا هو
 شيء جديد ، وفن حامي اسمه (الزمل) .

يقول ابن خلدون : المدة ٤٨ هـ والزهوار ٢١٧/٢

« ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور
 لسلاسته ، وتنميق كلامه ، وترصيع أجزائه ، نسجت العامة
 من أهل الأندلس على منواله ، ونظموا في طريقته بأقلامهم
 الحضرية ، من غير أن يلتزموا فيها أعراباً ، واستحدثوا فناً

سموه (الزجل) والتزموا النظم فيه على منحبرهم الى هذا العهد ،
فجاءوا فيه بالفرائب ، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة ،
فالموشحات إذن هي التي أغرت العامة بان ينسجوا على منوالها ،
ولكن بطريقتهم الخاصة ، قأدى الأمر إلى الانحدار باللغة ؛
ومن أجل ذلك قال بعضهم عن فن الموشح : إنه كان ذا أثر
سيء في الأدب .

والحقيقة ان فن الموشحات لم يكن صاحب الأثر
السيء في الأدب ، لأن الشعب العربي نفسه ، كان يسير نحو
المعجزة ، بسبب كثرة الاختلاط والامتزاج بالاعاجم في المغرب
والمشرق ، وكان العلماء يجأرون بالشكوى من استفحال المعجزة ،
وكان (الزجل) وغيره صورة عن الطبائع الشاعرة التي لا تستطيع
الانفصاح عن شعورها بالكلام الفصيح ، فن غير الحق ان
نحمل فن التوشيح جريرة المبالغة في الانحدار الى هاوية المعجزة ،
لأن فن التوشيح نفسه سقط في هذه الهوة حين قالوا بوجوب

تضمنه الكلام العربي والسوقي ، وجوب تأييد نفسه عن القواعد
المرعية في صحة الكلام .

وإذا لم يكن الموشح مظهرًا من الانحدار في الشعر ، فهو
ليس مظهرًا لا يسمى ما بلغه الشعر من الرقي أيضًا ، لأن الروائع
التي خلفها المخلدون في الأدب كآبي تمام والبحري وأبي الطيب ،
وغيرهم كثير ، ليست في حكم التقدير والاعتبار باقل من
الموشح ، وعندما أنها أدوع وابدع وأبرع .

وهنا لا بد من الاقرار بأن الموشح ثمرة من ثمرات الفكر
الشاعر ، وال عاطفة المتوقدة ، وصورة من صور الأدب ، ومظهر
من مظاهر الحياة الاجتماعية ، ومن الجور على أنفسنا وعلى
الأدب أن نقرر أن الشعر ارتقى صعودًا ، أو انحدر صيدًا ، فكان
الموشح ؛ انه فن من فنون الشعر ، لم يحاول أن يقهر القصيدة
العربية فيغنيها لتبقى له مظاهر الابداع ، ولا حاولت القصيدة
أن تفنيه لتظل خالدة وحدها .

لقد سارت القصيدة العربية باوزانها وأغراضها الى يوم الناس

هذا ، على ما يعرف عنها ، ولكن نبت على جذعها فرع تعبد
من تعبد ، وطيبم بد طعمم . وكانت له ثمرة غير الأصل ،
فيها لذة ومتممة ، ولها من الأم الغذاء والمستند ، ولكنها غير
الثمرة الأصلية على كل حال ، طعماً وشكلاً وألواناً .

وقد استطاب الناس هذه الثمرة الجديدة في الأدب والغناء
وأولعوا بها ، واحتفظوا بروائعها ، وما يزال الناس في المشرق
والمغرب العربيين يذكرون (الموشحات الاندلسية) و (النوبات
الاندلسية) كما تذكر الروائع من موسيقى الغرب وآدابه ،
ولعل تعلق الناس بهذا اللون من الأدب والغناء ، يرجع إلى
رئيس الحنين إلى الأندلس ، ونهف القلوب للمجد الضائع ،
والفردوس المفقود ؛ هذا ملاحمة إلى ما في نظم الموشحات
وما في ألحانها من عذوبة ودوعة في وإلا فلم لا تتردد كلمة
(الأندلس) حتى يشعر العربي والمسلم بحجوه من السحر الأخاذ والعبق
الكريم ، لم يحرموا على أن يحتفظوا بهذه الصفة (الاندلسية) لطائفة
من الأعالي والألحان حين يقولون (فوبه نو موسمه أوسين)

ولم يطلق عليها المغرب العربي إلى اليوم هذا الاسم (كلام غرناطة)^(١)
لو لم يكن لي جانب انتعة الفنية ، ذكرى حسية تكمن في
أعماق النفوس العربية والمسلمة ؛

ان فن الموشح الذي كان صنو الغناء ، والذي ازدهر بازدهار
الموسيقى العربية منذ حوالي ثمانمائة عام ، استطاع أن يحمل في
كيانه الخاص ، عنصر الخلود والروعة ، فأعجب الأفكار ، وأطرب
النفوس ، وخلق الافئدة ، وتنافته الايام كاحسن ما تناقل
من الارث الحبيب .

(١) المنشور عربي يردس في كتاب (الشعر العربي) ص ٢٩٣

السابقون الى التوشيح

رأيت أن العبقرية الاولى التي تمتعت عن فن الموشح ،
كانت عبقرية أندلسية خالصة ، غرست للناس غرساً تمهيدته
الأنحان ، وسهرت عليه الأنهار . فما وزكا ، وآتى أكله
يانعاً شهياً .

وقد زعم قوم أن السابق الى الموشح شاعر عباسي مشهور
هو ابن المعتز (المتوفى سنة ٢٩٦) ونسبوا اليه الموشح المعروف
أبها السبي إليك المشكى قد دعوناك وإن لم تسمع
والصحيح ان ثبت أن هذا الموشح أندلسي ، نسبة صاحب
طبقات الأطباء إلى الفقيه أبي بكر بن زُهر^(١) الوشاح المشهور
أضف إلى هذا أننا لا نعرف ابن المعتز وشاحاً ، أو ممدارساً
لهذه الصنعة الشعرية الجديدة في جميع التراجم التي تحدثت عنه
(١) ورد في مقدمة ابن خلدون اسم (زُهر) مصحفاً هكذا
(رَهِير) وهو خطأ مطبعي ، ورقم ذلك أيضاً في كتاب العذارى
لنأثبات في الأزجال والموشحات ، لجامعة قليب قعدان الحزن .

ولا يضم ديوانه من الموشحات غير ذلك الموشع ، مع أنه كان صاحب لهُو وحُرب ومُتعة ، والموشحات تناسب من كان في طباعه وأخلاقه ، ولو كان المخترع الأول للموشحات ، أو كان له من هذا الفن نصيب ، لوجد في محامه لرحب انطلافاً لمواضفة وشاعريته وأهوانه ؛ هذا إلى أن مؤرخي الأدب القدامى يدكرون عن ابن سناء الملك ، المتوفى في أوائل القرن السابع ، أنه أول من أدخل هذا الفن إلى المشرق ، وبذلك يظل فضل السبق إلى الموشحات مقصوراً على الأندلسيين ؛ وقد ذهب ابن سناء في ذخيرته (١/٢) وغيره من الباحثين إلى أن أول من وضع أوزان هذه الموشحات في أفق الأندلس ، واخترع طريقتهما في نهاية القرن الثالث هو محمد بن محمود القفري الفخري من مدينة قبرة في الأندلس (أو هو محمد بن محمود ... كما في أزهار الرياض ٢٥٦/٢ وغيره)

وقالوا إنه كان يصنعها على أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على الأشاريض المهمة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والمجمل على الأشاريض المهمة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والمجمل (٤)

ويسميه المركب (أي كلمة الخرجة) ويضع عليه الموشحة دون
تضمين لها ولا اغصان (القحيرة ١/٢)

وذكر ابن خلدون ان المخترع لهذا الفن في جزيرة الاندلس
مقرم بن معاني القبري (لا مقدم بن معمار القبري كما ورد في
المقدمة مصحفاً ومحرفاً ، وعنه نقل بعض الأدباء) وهو من شعراء
الأمير عبدالله بن محمد المرواني الذي امتد حكمه من ٢٧٥ الى ٣٠٠ هـ
وعن مقدم هذا أخذ ابن عبد البر صاحب كتاب (العقد) ولم
يظهر لها مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتها ، فكان
اول من برع في هذا الشأن بمدحها عبادة القزاز ، شاعر المتصم
ابن صياد صاحب المربة ، وقد ذكر الأعلام البطلوسي انه سمع
ابا بكر بن زهر يقول : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز »
(المقدمة ٥٤٢ و ازهار الرباس ٢٠٧/٢)

وكذلك حكى الكاتب ابو الحسن علي بن سعيد العنسي في
كتابه « المقتطف من أزهار الضرف » ان الحجارى ذكر
في كتابه « المسهب في غرائب المغرب » ان المخترع للموشحات

بجزيرة الأندلس هو المقرم بن معافى القبري من شعراء الأمير
عبدالله مرواني ، وأخذ عنه أبو عمر بن هجر بن صاحب (العقد)
ثم غلبها عليها المتأخرون ، وأول من برع فيها عبادة القزّاز
شاعر المعتصم صاحب المربّعة . (ازمار الرياض ٢٠٢/٢)

وقال ابن بسام في النخبة (٢/٢) « وقيل إن ابن
عبد ربه صاحب العقد أول من سبق الى هذا النوع من
الموشحات عندنا ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان
أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز » ثم نشأ أبو بهم
عبادة بن هارون السمار (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) ، فكمّلت على يدبها
الصنعة الجديدة ، ولم يظهر للسابقين الأولين ذكر مع المحدثين .
ومن هنا يتبين لك اضطراب القول في أول محترم لهذا
الفن ، شأن كل جديد من الأمور ، وإن محمد بن حمود
(أو محمود) القبري ، أو المقدم بن معافى القبري ، كانا السابقين
وتبعهما ابن عبد ربه ثم جاء المجودون من بعد ذلك .

فيمكن أن يقال إذن إن القرن الثالث الهجري هو أول

عهد ظهرت فيه الموشحات الابتدائية التي لم يستقم أمرها ، ولم ترسخ دعائمها ؛ وإن القرن الرابع الهجري الذي بلغ فيه من الغناء أوجه وغناء مجده ، هو العهد الذي ازدهرت فيه الموشحات الكاملة ، وإن المشاحين الذين جاءوا قبل القرن الرابع لم يبلغوا مبلغ المجودين في ذلك العصر الذهبي للموشح ، والسر في ذلك اعتماد الموشح على الأنغام والإيقاع وشدة الأوتار ، وما يلائم ذلك من حياة وادعة تشد المنعة والطرب ، مما تهيأ كاملاً حوالى القرن الرابع .

وعلى هذا فيجب أن تنس التجويد في الموشحات منذ القرن الرابع الهجري وما يليه ، على أيدي القزاز وإن ماء السماء وغيرهما حتى إذا جاء القرن السادس الهجري وجدنا كتاباً يؤلفه ابن سناء ذلك ويسميه دار الطراز يتحدث فيه عن صنعة لموشح ، وينقل إلينا فيه كثيراً من الموشحات القديمة ، والموشحات التي نظمها هو نفسه ؛ وقد نشر هذا الكتاب الدكتور جودة الركابي بوغتي به عناية كبيرة ، فوقع في نحو خمسين ومائة صحيفة من القطع

الوسط والحرف الدقيق ، ويتألف في الأصل من مقدمة للمؤلف تحدث فيها عن حد الموشحات ، وقواعد عروضها ، وما اصطلح عليه فيها ، وضرب لذلك الامثال ؛ ومن قسمين في الأول منها بعض موشحات الاندلسيين والمغاربة ، وهي التي أخذ منها الأمثلة على القواعد المذكورة في المقدمة ، ويبلغ عددها اربعة وثلاثين موشحاً .

وفي القسم الثاني موشحات ابن سناء الملك نفسه ، مرتبة على نسق الموشحات المذكورة في القسم الاول ، ويبلغ عددها خمسة وثلاثين موشحاً .

ولعل مقدمة ابن سناء الملك أم ما في الكتاب ، لأنه شرح فيها النظرية الفنية في عمل الموشحات ، والقواعد المارعية في هذا الفن ، ويكون بهذا أول من قام بتحديد اصول الموشح بصورة واضحة بينة ، وإن كان الذين سبقوه الى الكلام على الموشحات قد أشاروا بعض الاشارات الى تلك الاصول ،

الا ان الوشاحين الاندلسيين لم يذكروا لنا بصورة جلية الاسم
التي يجب أن يقوم عليها الموشح .

وتحدث المؤلف عن أوزان الموشحات واغراضها وعن تسمية
الكتاب باسم (دار الطراز) وقد كان ينبغي أن يسميه بغير
هذا ، كقانون الموشحات أو توشية التوشيح أو عقد الموشح أو غيره ،
ولكنه لم يجد أشمل وأكمل من لفظ (دار الطراز) لأن
معنى (الطراز) هو أجود الثياب المعلمة المطرزة التي تعمل
للسطان ، ولأن معنى (الموشح) هو الثوب الموشى المطرز وعلى
هذا تكون (دار الطراز) هي الدار التي يعمل فيها حريري
الموشحات ومذهبها وتحفها وطرفها . فالكتاب هو تلك الدار
وان لم يكن الدار فهو الجار ، كما يقول المؤلف .

ويعتذر — بأحلاق العالم المتواضع — ان كان في موشحاته
ما لا يبلغ مبلغ الموشحات الاندلسية الفارقة ، لانه لم يولد في الاندلس ،
ولا نشأ في المغرب ، ولا سكن اشبيلية ، ولا ارسى على مرسية ،
ولا عبر على مكناسة ، ولا سمع الأذعن ، ولا لحق دولة المعتمد

وابن صيادح ، ولا اتي كبار الوشاحين أمثال الانعمى وابن بقي
وعبادة والحصري ، ولا أخذ عن شيخ متقدم في هذا العلم ،
ولا وقع اليه مصنف في هذا الفن ؛ ثم اورد الموشحات المختارة
وانبعا بموشحاته التي صنعها بنفسه .

ولندي بالاحظه على ابن سناء الملك انه كان في بعض المواضع
بعيداً عن الوضوح والطبع والسلاسة ، متأثراً بأسلوب عصره من
حيث كثرة التأنيق في المفردات والسجع ؛

وشيء آخر هو انه لم ينسب الموشحات التي أوردتها الى
أصحابها ، وهي من أفضل ما قيل في هذا الفن من قبل ، ومنها
استمد المؤلف القواعد التي ذكرها كأصول صرعية في التوشيع ؛
وإهماله هذا لذكر أصحاب الموشحات إهمال لا يُرضي ، وكان
على صديقنا الناشر أن يتلافاه حين رجع إلى المصادر المتعددة
اتناء التحقيق والطبع ، وألم بأصحابها ، وقابل بين ما طبع من
الموشحات وما كتب عنها من قبل ، وبين ما هو في نسخة
المؤلف التي يحقق فيها ، ولكنني أحسب ذلك شأن كل عمل

انساني يذهل صاحبه عن بعض ما يتعلق به ، رغم العناية الفائقة :
وشيء يسير آخر ، هو ترك الناشر شرح بعض الأفكار الواردة
في الموشحات ، مما يدق فهمه على الدارسين ويسهل ايضاحه
على المدرسين ، وكان من الخير لو استدرك هذا لانه لا يعجز
وشيء ثالث هو ان قليلاً من التشكيل يحرف لا تستقيم
معه بعض الكلمات ، وعسى أن يتلافى الناشر ذلك فيما بعد .
وأراني بعدُ مقدراً جهد صديقنا الناشر وبحسبه ان يضع
بين أيدي الناس كتاباً كان مفقوداً هو من أحسن المصادر
في فن التوشيح ، مطبوعاً أحسن طبع ، معنياً به خير عناية ،
ثم أن ابن سناء الملك ، وقد أراد أن يسطر بعض الأصول
والقواعد المرعية في هذا الفن ، لم يتوخَّ أن يذكر أسماء النابهين
من الوشاحين في الامدلس ، ولا أن ينوه بشأنهم ، وقد استدرك
الناشر ذلك ببعض التعريف بأولئك الوشاحين دون الاضافة ، كما
عرف مؤلف الكتاب ، فاستحق الناشر على صنيعه وتعبه ، الجزيل
من الثناء .

عباقرۃ التوشیح

آلت الأندلس الى العرب الفاتحين سنة اثنين وتسعين
للهجرة ، وصلت تحکیم من قبل الولاة حتى كان عهد نبي أمية الجديد ،
حين دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس واستولى عليها سنة
تسع وثلاثين ومائة ، واستمر الحكم والخلافة الأمويان في الأندلس
حتى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة حيث قام ملك بني حمود ، ثم
انقرض سنة ستين وأربعمائة ، وآل الأمر الى ملوك الطوائف في
الأندلس ، وتفرق ذلك الملك في جماعات من الموالي والوزراء وكبار
العرب والبربر : تغلب بعضهم على بعض ، حتى أعطوا الأتاوة لملوك
الفرنجة ، ثم أقدم من الذل والفوضى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ،
حين نزل الجزيرة الخضراء سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ولم يزل
يستولي على البلاد حتى تم له ما أراد ، وخاطب الخليفة العباسي
في بغداد فمقدله على المقرب والأندلس ، واستقر فيها ملك
المرابطین (المشين) حتى توفي سنة خمسائة ، واستمر المرابطون

في الحكم حتى غلب الموحدون على بلاد المغرب سنة احدى وخمسين
وخمسمائة ، واستولوا على الأندلس ، وثارت الفتن ، وحكم ابن هود ،
ثم ثار جدسي الأحمري وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة ، وصأت
الأمور في اضطراب ، والعدو يتقدم ويستولي على البلاد ،
والقوم في نزاع ، يقدر بعضهم ببعض ، ويقتل بعضهم بعضاً ،
حتى تغلب عدوم على الجزيرة الخضراء وأخذها صلحاً سنة
ثلاث وأربعين وسبعمائة ، ولم يزل الأحمري في الأندلس بين يدي
ملوك مصر ، وقواد تغدر ، وشعب ينحدر ، وزعماء تغاصر ،
حتى تقاص الظل العربي وانكش الاسلام ، فكانت الأندلس غنيمة
الانحلال ، وصحبة الأهواء ، سنة سبع وتسعين وثمانائة .

وما كان لمن هذا التاريخ الطويل الحافل ان يوجز في سطور ،
لولا اننا نريد أن نذكر القارئ الكريم بأطوار الحكم التي
مرت على الأندلس ، والأزمان التي عاش فيها ، وشاحون الذين
سنتحدث عنهم ، اذ كان من حق الدراسة ان تمثل أزمانهم ، ولو على
سبيل الإيجاز ، لتتخيل تسلسلهم وتعاقبهم في الفن الذي شرحنا
أصوله وفروعه ؛ واذا كانت من السر أن تأتي على جميع

الوشاحين : الأندلسيين والمغاربة والمشاركة بالترجمة والاستشهاد ،
فلا أقل من الإشارة الى بعض العباقرة منهم ، أولى الشهرة والتأثير
في نشأة هذا الفن وتطوره ؛ وهام أولاء على تسلسل الأزمان ^(١) :

ابن هبيرة

(٢٤٦ - ٣٢٨) هـ (٨٦٠ - ٩٤٠) م

أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، الإمام لأديب ،
وصاحب (العقد) . من أهل قرطبة ، كان جده الأعلى (مسلم)
مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية .

(١) روجعت للأراحم والمنشجات ، والمدراسة عامة ، مراجع كثيرة مهم :
الخطط ، والإسلام والحصارة العربية لكرد علي . تاريخ الأندلس لأشباح
(الألماني) . الأوضاع الإسلامية لديوبين (بالفرنسي) . الشعر الأندلسي
لبيره س (بالفرنسي) . الأعلام للزركلي . مطمح الأفس وقلائد
العقيدان للفتح بن ساقان . معجم الأدياء لياقوت . نسيمة الدهر للنعالي .
وفيات الأعيان لابن خلكان . المقدمة لابن خلدون . فوات الوفيات للإصلاح
الكتبي . نفع الطبيب وأرهار الرئيس للعقري . الدخيرة لاس سام . الإحاطة
لسان الدين بن الخطيب . دار الطراز لابن سناء الملك . الشعر في العصر
الأيوني (بالفرنسي) ومحاسرات في الأدب الأندلسي للركاني المستطرف
للأبشي . العقد لابن عبد ربه . الصبح للقلقندي تقويم الخيمي لدمشقي .
وكتب الأدب الحديثة في مصر والشام ولبنان والبستان والحضي والمحووري وغيرهم

كان ابن عبد ربه شاعراً مشهوراً، وأديباً مذكوراً، وعالمًا
كثير المحفوظات والاطلاع على أخبار الأدباء، شمعها في المقعد،
وألمه العلم والأدب ما يشتهي من الغنى بعد الفقر. إذ كان في
العلم ثقة، وفي الأدب حجة، وفي الشعر غاية؛ استطارت
شهرته في المشرق والمغرب ولقب (بإليح الأندلس)؛ قبل
أن المتني كان في جامع عمرو بن العاص فجاءه ندلسي يريد أن
يجمع إليه، فقال له المتني: أشدني إليح الأندلس، فأشده قول
ابن عبد ربه :

بالؤلؤ أيسر القول أيقا	ورشا بتقطيع القلوب ولينا
ما إن رأيت ولا سمعت عنه	دراً يهود من الحياء عقيفا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه	نصرت وجهك في سهو غريفة
يا من تقطع خصره في رقة	ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فاستعاد المتني الأبيات وقال : « يا ابن عبد ربه ، لقد تأنيك
العراق حبواً » .

ولابن عبد ربه القصائد (المحتصات) ، وهي قصائد ومقاطع
في المواعظ والزهد ، تقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل .

وكتابه (المقد) من أشهر كتب الأدب ، وله أراجيز في
في تاريخ الخلفاء الراشدين ، وغيرهم ، وطبع من ديوانه خمس
قصائد ، وأصيب بالفالج قبل وفاته بأيام

يوسف بن هرون الرمادي

(٤٠٣ - ٥٠٠) هـ (١٠١٢ - ١١٠٠) م

ابو عمر يوسف الكندي الرمادي ، نسبة الى رمادة وهي
بلدة في المغرب ، كان أصله منها ،
شاعر أندلسي ، مولده ووفاته في قرطبة ، عالي الطبقة ،
كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند الخاصة والعامة هناك
لسلوكة في فنون المنظوم مسالك تنفق عند الجميع ، اذ كان
يحزن في الشعر ويسهل ، قاجم انقوم على تفضيله .
كان معاصراً لآبي الطيب المتنبي ، وكان كثير من شيوخ
الأدب يقولون : « فتح الشعر بكندة وختم بكندة » يعنون
بذلك امرأ لقيس ، والمتنبي والرمادي .

لرم باعلي القالي صاحب الأملالي حينما قصد الأندلس سنة ٣٣٠ وأخذ عنه وروى كتابه (النوادر) ومدحه بشعر جيد .
نسب اليه من الشعر في دولة الخلافة ما ألقاه في السجن طويلاً ، وأدرك الفتنة ففاض لحنها ، ولحقته فاقة لزمته وأنهكته حتى أهلكته ، وقد عمر طويلاً ، وخلف كثيراً من الشعر ، وكتاباً له في (الطير) ومن شعره :

بدرٌ بداءٌ يحمد شمساً بدت	وحدثها في الحسن من حدثه
تفرُّبٌ في فيه والسكها	من بعد ما تطعم في خده
وله :	

في أي جراحة أصون ممذي	سلمت من التعذيب والتنكيل
أن قلت في بصري قثمٌ مدامي	أو قلت في كبدي قثمٌ غليلي
وثلاث شبيبات نزلن بفريقي	فعلت أن نزولهن رحيلي
طعت ثلاث في نزول ثلاثة	واشد وجهه مراقبٌ وثقيل

ابن ماء السماء

(٤٢٢ - ٠٠٠) هـ (١٠٣١ - ٠٠٠) م

أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن ماء السماء ، من ذرية سعد بن عبادة الأنصاري ، وقيل له ابن ماء السماء لجدِّهم الأول كان عبادة رأس الشعراء ، متجعاً بشعره ، يمد

الهمة ، وهو الذي أقام عماد الموشحات وهذب ألقاضها وأوضاعها
 واشهر بها شهتاراً غلب عليه ، فكانت لم تسمع الا منه .
 ضاعت له مائة مثقال قاعم عليها وكانت سبب وفاته في مائة
 وله شعر حسن منه قوله :

لا تشكون اذا عثر	ت الى خليط سوء طالك
فيريك ألواناً من ال	إذلال لم تخطر ما بك
اياك انت تدري عي	مك ما يدور هي شمالك
واسبر على حوب الرما	ن وان رمت بك في المهالك
والى الذي اغنى واف	فى اصرع وسلكه صلاح حالك

ابن الفزاري (القرن الخامس)

ابو عبدالله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز ،
 (وعبادة القزاز أيضاً) شاعر المعتصم بن صمداح صاحب (المرية)
 المتوفى سنة ٤٨٤ هـ .

من مشهوري الشعراء والأدباء ، وأكثر ما ذكر اسمه وحفظ
 نظمه في أوزان الموشحات ، وقد برع في نظمها ، وشهد له
 المتقدمون بالتفوق والتقدم ؛ فقال ابو بكر بن زهر : كل
 الوشاحين عيال على عبادة القزاز ؛ وكان فيما اتفق له من ذلك قوله :

يدريهم	شمس ضحي	غصن ثقا	ملك شم
ما اتم	ما اوضحا	ما اورقا	ما اتم
لا جرم	من لحا	قد عشقا	قد حرم

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمان ملوك الطوائف ، وجاء مصدياً خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطالة .

ابو الحسن المصري

(٤٨٨ - ٥٠٠) هـ (١٠٩٥ - ١١٠٠) م

علي بن عبد الغني الفهرى المقرئ الضرب ، ولد في القيروان وتوفي في صُنجة ، قال عنه ابن بسام : « كان بحر براءة ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، طراً على جزيرة الاندلس في منتصف المائة الخامسة بعد خراب وضه من القيروان ؛ فتهادته الملوك وشاءوا فيه » .

كان حبيب العطن ، يئتمت الى الهجاء ثلاث الظمآن الى الماء .
وكاد علماً باقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن الكريم بسبته وغيره ، وله قصيدة نظمها في قراءات دفع ، وديوان

شعر جيد ، ومن أشهر شعره القصيدة السائرة التي تُغني بها كثيراً :

يا ليل انصب مني غده اقيام الساعة موعده
رقد الشمار قارقه اسف قلبين يردده

وقد عارضها كثير من الشعراء ، فمن القدماء الذين عارضوها

ابو الفضائل القمراوي فقال من قصيدته :

قد ملّ مريضك عوده ورني لأسيرك حده
لم يبق حذك سوى نفس زفرات الذوق تصمده

وقد طبعت المعارضات الحديثة في رسالة صغيرة عنوانها

(معارضات يا ليل انصب) وليس فيها كل المعارضات الحديثة
ولا القديمة .

وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية — ويسمى بالاندلسيون
محض أيضاً — بعث الى أبي الحسن الحضري بخمسمائة دينار
ليحضر اليه من القيروان ، وكان الروم اذ ذاك مسيطرين على
البحر فكتب الى المعتمد :

مررت برؤوس البحر اقطعه غيري ، لك الخير ، فاحصه ، مد الله
ما انت روح فسجني مقيته ولا المسيح انا أمشي على الماء

ودخل الاندلس بعد ذلك ومدح المعتمد ، ثم توفي في طليجة .

وأبو الحسن هذا ابن خالة أبي إسحق المصري صاحب
زهر الآداب المتوفى في القيروان سنة ٤١٣ هـ على رأي
ابن خلكان ، أو سنة ٤٥٣ على رأي ابن بسام

أبو يحيى

(٥٤٠ - ٠٠) هـ (١١٤٥ - ٠٠) م

أبو بكر بن يحيى من عبد الرحمن بن يحيى الأندلسي القرطبي :
شاعر ذو روائع في الشعر ، اشتهر في أجادة الموشحات ،
وتنقل في كثير من البلاد التماساً للرزق ، وكان الحرمان ألزم
له من ظله ، حتى وجد من أنطومه جابجا من العيش فمدحه ،
وأثنى عليه المترجمون له ، وعدوه من محاسن دولة المائمين وذكروا
له كثيراً من جيد الشعر كقوله :

يا افتك الدس الحظا والطبهم ريقاً مقي كان فيك العبابُ والعسلُ
في سخن خدك وهي الشمس طالمةٌ وردٌ يزيدك فيه الراح والحجل
إيمان حبث في قلبي يجوده من خدك الكتاب ومن لحظك الرسل

وحياة الشعراء في دولة المائمين تأتي بعد من كانوا في عهد

ملوك الطوائف كالقزاز وابن ارفع رأسه ، ويعتبر ابن بقي
والأهمى التطيبي أسبق من جاء في عهد الملائمين .

زعموا ان أبا بكر بن زهر قال : ما حسدت قط وشاحاً

على قول الا ابن بقي حين وقع له قوله :

أما ترى احداً في مجده الدلي لا يلحق
اطلاه العرب فازنا مثله يا مشرق

ومن أجل ما وقع له من الموشحات قوله :

عبث الشوق فاني فاشتكي ألم الوجد ، فلبث ادعني

ايها الناس فزادي شذوب

وهو من بني الهوى لا يُصَف

كم اذويه ودعني يكرف

ايها الشادن من علاحكا بسهام اللاحظ قتل السبع

بدر تم نحت ليل اغطش

طالع في غصن بانر منتشي

احب الفد بخد ارقش

ساحر الطرف وكم قد فكا بقلوب درعت بالاضلع

واثنى يهر من سكر الصبا

اي رثم رمته فاجنبنا

كفضيب هزته ويح الصبا

قلت هب لي يا حبيبي وسلكا وأطرح اسباب هجري ودع

قال خدي زهره مذ قوتا

جرت الطرف حساماً مرهفا

حذراً منه بالاً يقطنا

ان من رام حياه هلكا فازل عك امانى الطمع

ذاب قلبي من هوى ظي غرير

وحبه في الدجن صبح مستير

وفزادي بين كفيه اسير

لم اجد للصبر عنه ملكا فاتصاري فانسكاب الادمع

ويُخَيَّلُ اليَّ ان هذا الموشح هو الاصل الذي عارضه ابن زهر

في موشحه المشهور الذي يقول في مطلعته :

ايها نسائي اليك المشتكى قد دعوك ون لم تسمع

ابو عيسى التليطي (النصف الاول من القرن السادس)

ابو جعفر بن هريره ، ابوبكر التليطي (والتليطي والطائيطي)

الوشاح المشهور ، من شعراء الاندلس في دولة المشين (المرابطين)

اوائل القرن السادس للهجرة ، سكن مرسية ومات في مقتبل العمر

وضاع كثير من أخباره ، وبقيت شهرته ، واثار عبقريته .
 كان كثير الوقوع في الناس ، قيل له مرة : يا أبا بكر ، كم تقع في
 الناس : فقال : أنا أعمى وم لا يبرحون حُفَرًا ، لا عذري في
 وقوعي فيهم ، فقال السائل : والله لا كنت قط حفرة لك .
 وجعل يواليه بره ورفده .

قال عنه لفتح في القلائد : « له ذهن يكشف الغامض الذي
 يخفى ، وجاء بالنادر الذي أعجز ، ونظم أخبار الأئمة المفقرة في
 لبة القريض ، وسمها أطرب من نغم معبد والفريض ، وكان
 بالأندلس سرا للاحسان الا انه اختصر حين الحُفَرِ ، واعتبط
 عندما استبشر به واعتبط . »

وذكر بن خلدون : ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس
 في اشبيلية ، وكان كل واحد منهم اصطنع موشحةً وتأنق فيها ،
 فتقدم الأعمى التايطي للانشاد واقتنع موشحته بقوله :

صاحبت عن 'حن' . سافر عن بدر . ضاق عنه الزمان وحواء صدي

آه بما أجده شفي ما أجده

قام لي وقد باطش منشد

كما قلت قد قال لي أين قد

واشي خوط بان . ذامه زير انصر . ما بئته يدان . للعيا والقطر
فلما سمع الوشاحون قوله خرّق ابن بقي موشحته ، وتبعه الباقون .

الحكيم ابو بلر بن بامجة (القرن السادس)

صاحب التلاحين المشهورة المعروفة ، حاصر ابن بقي والاعشى
الطليطلي ، وكان مقدما عند ابن تيفلوت صاحب سرقسطة ،
ألقى ابو بكر ذات يوم على بعض القينات موشحته في المدح
التي اولها :

حرر الذيل ابا جبر وصل الشكر منك بالشكر

وختمها بقوله :

عقد الله راية النصر لأمير الملا اني بكر

فطرب ابن تيفلوت وصاح : واطرباه ، وشق ثيابه ، وقال

ما أحسن ما بدأت به وما ختمت ! وحلف بالايمان المفاضة الا

يمشي ابن باجة الى داره الا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء

العاقة ، فاحتال بان جعل في نعله ذهباً ومشى عليه .

ابو بكر بن زهر

١ (٥٠٧ - ٥٩٥) هـ (١١١٣ - ١١٩٩) م

ابو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر
ابن أبي مروان ... بن زهر الأيادي الأندلسي الأشبيلي .

كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء ، وحكام وزراء ،
متقدمون عند الملوك ، وكان أبو بكر متمكناً من شعر العرب ،
عالي المرتبة ، كثير الأموال ، مشروفاً على جميع أقول أهل
الطب ، وله في كتاب جالينوس (حيلة البر) :

(حيلة البر) صنف لعليل	يرحمى الحياة أو لعليه
فاذا جاءت المسية قالت	حيلة البر : ليس في البر حيلة

وكان يعالج الناس في الطب ، وأوصى ان يكتب

على قبره :

تأمل بحق يا وافقاً	ولاحظ مكانا دفنا اليه
تراب الصريح على وحي	كأنني لم أمش يوماً عليه
أداوي الأنام حذار المتون	وها أنا قد صرت رهباً لديه

وانفرد بالتقدم في الموشحات ، في زمانه ، وقد شرقت موشحاته
وغربت ، وكان جده ابو العلاء زهر وزير الدهر وفيصوف العصر
وحكيمه ، وتوفي سنة ٥٢٥ بقرطبة .

وكان عبيد الملك قد ارتحل الى الشرق وطبيب زماناً طويلاً ،
وتولى رئاسة الطب في بغداد ، ثم في مصر ، ثم في القيروان
وبذلّ اهل زمانه .

وكان جد جده محمد بن مروان عالماً حافظاً للادب فقيهاً
متفتناً جواداً .

فيل لابي بكر : لو قيل لك : ما ادعُ ما وقع لك في
النوشيح ؟ فقال : كنت أقول :

ما احوالة	من سكره لا فبق	باله سكران
من عبر حمر	ما للكئيب المشوق	يبدد الاوطان
هل تسماد	أيام ما خليج	وليايد
او يستفاد	من القسم الأريج	مسك دارينه
وادر نكار	حسن المكان السبيع	ان يحيد
هر طلاء	روح عليه انيق	مورق فيمان
وماء يحري	وطائم وغريق	من جنى الربحان

ابن سناء الملك

(٥٥٠ - ٦٠٨) هـ (١١٥٥ - ١٢١١) م

هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر بن سناء الملك ،
السعدي ؛ أبو القاسم ، ويعرف بالقاضي السعيد ، شاعر ذو ثقافة
عالية ، حُلته منصب القضاء كآتيه ، مصري المولد والوفاة .
كان نبلاً وافر الفضل ، بارعاً في علوم اللغة ولدين ، رحب
الندي ، جيد الشعر ، نديع الانشاء متمكناً فيه ، مكثراً للتأنيق ،
في الكتابة ، كتب في ديوان الانشاء بمصر مدة ، على سعة
في العيش ووفرة من الغنى .

وكان ولوعاً بالموشع ، فاستقصى أخباره وأسس ، وجمع
طائفة من أحسن ما عرف منه في كتابه (دار الطراز) وأودعه
موشحاته التي نظمها هو نفسه .

وكانت له صلات أدبية وثيقة بالقاضي الفاضل صاحب
الطريقة المؤنقة في الكتابة ، وبغيره من أدباء العصر وشعرائه ،
يظارحهم الشعر ويواصلهم بالأدب .

وكان معجباً بصالح الدين الأيوبي، ومدحه مدح أكابر واحترام.
له كتاب (فصوص الفصول) (مخطوط) جمع فيه حائفة
من إنشاء كتاب عصره، ولا سيما القاضي العاقل، وكتاب
آخر اسمه (روح الحيوان) (مخطوط) احتصر فيه كتاب
الحيوان للجاحظ.

استفاضت شهرته في الشرق والغرب، وخاصة في موطنه
الذي يقول فيه :

(١) يا حبيبي ارفع حجاب النور* عن العذار
تنظر المسك على الكافور* في جدار

إبراهيم بن سهل

(٦٠٥ - ٦٤٩) هـ (١٢٠٨ - ١٢٥١) م

من أهل أشبيلية، شاعر غزل، كان يهودياً فأسلم وتلقى
الادب وأجاد في الشعر، سكن سبتة Ceuta في المغرب الأقصى،
وغرق مع واليها إذ كانا في زورق انقلب بهما هناك.

(١) ورد المطلع بدون أداة تداء في بعض المصادر (حبيبي ارفع)،
ووجود الأداة مناسب وزن البيت الثاني (سطر...) ولذلك ابتناها
كما ابتناها بعضهم.

له ديوان شعر صغير . ومن أشهر شعره موشحه لذي
عارضه الكثير من الشعراء ويبدو به قوله :

هل دري صبي الحمي ان قد حوى	قلب ص ص حله عن مكس
فهو في حر وخفق ملها	لبيت ربح الصبا ما قس
يا بدورا اشرقت يوم التوى	غاررا تلك في نهج العرور
ما لنفسي في الهوى ذنب سوى	مسكر الحسن ومن عيني النظر
اجتني اللذات مكوم الحوى	والنذادي من حبيبي بالفكر
كلما أشكوه وحدي بسما	كلما بالعارض المبحر
اذ يقيم الفطر فيه ما تما	وهي من بهجتها في عرس
أيها السائل عن حرمي لديه	لي حزاء الدن وهو المذنب
اخذت شمس الضحى من وحنه	مشرقا للشمس فيه مغرب
ذهب الدمع باشواقى اليه	وله خد العظمى مذهب

لسان العرب بن الخطيب

(٧١٣ - ٧٧٦) هـ (١٣١٣ - ١٣٧٤) م

محمد بن عبدالله بن سعيد اللوثي الأصل ، وزير مؤرخ ،
وأديب نبيل ؛ ولد بفراطة ، واستورده سلطانها ابو الحجاج يوسف
سنة ٧٣٣ ثم ابنه السلطان محمد من بعده ؛ نسيبه بعض حاشديه

الى مذهب الفلاسفة ورمي بالزندقة، وأوغر عاينه قلب السلطان
محمد بن يوسف فأعنته بفاس، فطرقوا عليه السجن ليلا وخنقوه
كان بلقب يدي العُمرين لكثرة أرقه واشتغاله بالتصنيف
في نيله، وبتدبير المملكة في سهاره. وهو كثير المؤلفات، وتقع
في نحو ستين كتاباً منها الاحاطة في تاريخ غرناطة، والاعلام،
فيمعن ويوع قبل الاحتلام، من ملوك الاسلام.

وله شعر جيد، ومنه موشحه الذي عارض فيه موشح

ابن سهل فقال في مستهله :

حدثك البعث اذا البعث همي	يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك إلا حلما	في الكرى أو خلسة الخنلس

و يتود الدهر اشتات الى	تنقل الخطو على ما يرسم
رسماً يو فرادي ونهى	منها يدعو الوعود الموسم
والحيا قد حلل الروض سى	فتغور الزهر منه تسم

وروى النعمان عن ماء السما	كيف يروي ملك عن أس
فكس الحسن نوباً معلما	يزدهي منه نايى ملبس

في لبال كنت سر الهوى يلدحي لولا شئوس الغرور
مال مجم الكائن فيها وهوى مستقيم السير سعد الأثر
وظر ما فيه عيب سوى انه مر كلح البصر

ابن زمرك

(٧٣٣ - ٧٩١) هـ (١٣٣٣ - ١٣٨٩) م

ابو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي ، ولد في غرناطة ونشأ بها ، وهو من مفاخرها ، واسع المعرفة غزير المادة حاد الذكاء ظاهر الذيل ، جيد الكتابة والشعر ، كلف بالمعاني البديعة والالفاظ الصقيلة ، حنّه السلطان ابن الأحمر محلاً رفيماً وخصّه بكتابة مره بعد لسان الدين بن الخطيب ، وقد أثنى عليه هذا في «الاحاطة» .

مات ابن زمرك قتيلاً بعد سنة تسعين وسبعائة

وهو كثير الموشحات من ذلك قوله :

نواسم البستان تثر ملك الزهر
والطل في الأغصان ينظمه بالجوهر

وراية الاصباح	اضاء منها المشرق
تشرها الارواح	فلا تزال تحرق
والزهر زهر فاح	ها عيون ترمق
فيا يخط الدمان	تبصر ما لم يبصر
جواهر الشهبان	قد عرضت للمشتري

وينتهي موشحه بمخاطبة ممدوحه ويقول :

خذها بلا دعوى	زرعى على الروض الوسيم
جاءت كما تروى	ارق من لادن النسيم
قد طارحت شكوى	من قال في الليل البهيم
« ليل الهوى يقظان »	والحبيب ترب السهر
« والصبر لي خوان »	والنوم من عيني ري

وهذا القفل الاخير (ليل الهوى يقظان) هو مطلع موشح

لابن سهل ، استعاره ابن زمرك فجعله (خرجة) لموشحته اوردها
بعد كلمة (قال) ، وفق ما جرت به العادة في خرجات الموشحات .

حول الموشحات

للباحثين في الموشحات آراء هي صفوة ما يذهبون اليه من حكم وتقدير ، لذلك كان من الخير أن يستعرض شيئاً من هذه الأحكام ، غير متناسين ما يمكن أن يكون فيها من اختلاف ، مردّه الى الزاوية التي ينظر منها القائل ، والاتجاه الذي يأخذ به نفسه ، فربّ ممجّب يصدر حكمه عن قلبه ، وناقذ يزن الأمور بميزان الواقع ، فيختلفان أفقاً ونظراً ؛ على أن كل اختلاف في هذا السبيل ، شهي مرغوب فيه ، ما أمتع البصر بإفق جديد ، وأمد الفكر برأي قويم .

فمن ذلك ما تحدث به المرحوم الاستاذ محمد كرد علي في كتابه « الاسلام والحضارة العربية » (١ / ٢٣٠) عن الشعر العربي والفنون الجبلية في الاندلس ، فذكر ان العرب « لما انتقلوا الى الاندلس جاء شعرهم خلافاً بما فيه ونصويره وتأثيره » وان « للاندلسيين فضل

السبق في اختراع الموشحات التي تهيج النفوس الخاملة ، وتشرها
القلوب اسلاستها ، كأن سماء الاندلس أوحى الى قرائحهم بما لم توحه
سماء الشرق ، وتجارى غواة القريض في نظم هذه الموشحات
وترديدها الى الغاية ، واستظرفها الناس جملة لسهولة تناولها وقرب
طريقتها . وقد كثرت اختراعاتهم في المعاني ، والبسوا الشعر
ديباجة مستلحة كسرت قليلاً من قيوده ، وألبسته حلة مدنية
كاللؤلؤ العراقية والشامية أيام رواج الشعر في بعض ادوارها الراقية ،
ونقل عن شاعر الاسبان فرنسيسكو فيلامبازا انه « لم تنهياً
للشعر العربي في عامة الاقطار التي اكتسحتها العرب تربة اصالح
من تربة الاندلس ، ولا زها في بلد من البلدان زهوته في
هذا البلد » .

وقال « ان روح الفروسية التي سادت القرون الوسطى ،
وحالت همجية الحروب الى مداعبات على ظهور الخيل في ميادين
الالعب ، وانتجت من الحب أدباً عالياً ، ومن المرأة صنماً

معبوداً لهي روح خلقها الشعر العربي وحملها الى العالم على اجنحة
مرشحاته ، فعم العالم « الأدب الممتق » الذي سبق الرومانطيقية
بصمة أجيال : ومنه كان للشعر العربي هذا التأثير في العالم ،
فأحرر به أن يكون في اسبابها شذوذاً منه في غيرها .

ثم يقول : « وليست جميع القصائد المجموعة في كتب الاغاني
الاسبائية لمختلف الشعراء سوى انحلال ما في الدواوين الشرقية
من شعر ، فالك ترى ما طمبها برافقون في أناشيدهم الايقاع
المتكرر في الحان الرباب ... وينتهي الى ان التأثير بالأدب العربي
البادي في آداب اللغة الاسبائية ظاهر في أناشيدهم الشعبية التي
تمثل نفس أمته الشاعرة .. »

ويتحدث الاستاذ كرد علي عن النهضة الموسيقية الجارية التي
كانت في الاندلس وبذكرة انه كان لهم آلات من الطرب ولوان
من الملاهي كادوا يتفردون بها . ودام الغناء واللهو والاونار
والرقص في الاندلس الى عهد خروج العرب منها ، على حصة
موفورة ، فكان من الطبيعي أن يأخذ الافرنج عنهم ، ولا يزال الى

اليوم غناء الاسبانيين يشبه غناء العرب ، وموسيقام كأنها
موسيقام ، وكذلك رقصهم وكثير من أدوات لهم ، وهكذا
الحال في اسبانيا والبرتغال اليوم بل في جمهوريات امريكا الجنوبية
ولاسيما أهل الارجنتين والبرازيل بفضل زرياب الذي رحل
الى المشرق وعنه أخذ الاندلسيون وجيرانهم .. (٢٣٧)

ويشير الاستاذ كرد علي في (خطط الشام) الى زرياب ، ولى
المهدي ، والى مقدمه على خلفاء بني أمية في الاندلس ، وانه كان
يركب في مائة غلام ؛ ويذكر عن آلة تطرب (الأثرغن) التي
تقدمت الاشارة اليها في هذا الكتاب ، انها غير الاوغن الذي
يعرفه الافرنج لعهدنا ، ونقل عن الخوارزمي « ان الارغانون آلة
لليونانيين والروم ، تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس ،
يقسم بعضها الى خمس ، ويركب على رأس الزق الاوسط زق
كبير ، ثم يركب على هذا الزق انابيب صفر لها قصب على
نسب معلومة ، يخرج منها أصوات طبيعية مصرية مشجبة على
ما يريد المستعمل » (١٠٦/٤ - ١٠٧)

ويذكر الدكتور شوقي ضيف في كتابه (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) (٢٧١ - ٢٧٥) : « ان الاندلسيين لم يستطيعوا ان يحدثوا مذهباً فنياً جديداً في الشعر العربي ، بل جحدوا عند التقليد والصوغ على تاج الشرق من غير تعمق ، ويقرر ان صنيعهم اقتصر على الشكل ، وان العناء والموشحات والازجال هي الشيء الطريف في شعرهم ، ويرى ان فن التوشيح لا يعتد به كمذهب جديد في الشعر العربي ، وانما هو شيء يجاوب والبيئة وما كان فيها من نرف ولذة ونعم ، فأدبهم في الموشحات وغيرها لم يحدث ثورة على الأوضاع القديمة في الصياغة الفنية ، لا في صياغة التفكير ولا في صياغة الشعور ، لأن الاندلس او شعراءها على الأقل ، لم تعرف التفكير العميق الدقيق ؛ وينتهي الى أن الموشحات والازجال استمدت دلالاتها وصياغاتها من معين المشرق ومذاهبه الفنية . »

وفي رأي أحد المؤلفين القدامى (في وفيات الأعيان) :

« ان الموشحات زبدة الشعر ونخبته ، وخلاصة جواهره وصفوته ، وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على

أهل المشرق ، وظهروا فيها كشمس الظالمة والضياء المشرق .
ويرى الأستاذ خيل الهنداري (في نعوصه المدروسة) :
« ان الموشحات لم تحقق لتغذية الدمن وارضاء التفكير ، وانما
خلقت لاثارة الخيال والعاطفة ، وإيهاج النفس ولادن والعين ،
وهي جذيرة بان تحمل معها طابع الأدب الابداسي
والبيئة الاندلسية » .

ويورد الأستاذ نعيم الحمصي (في رائده) عن أحد المستشرقين :
« ان الموشحات الاندلسية تنفخ العالم العربي بعطر شذي من تلك
الأرض الاندلسية التي لبثت زمناً طويلاً محاطة على الروح الشامية »
ويورد قول غيره « ان أسلوب الموشحات هو ابن ليالي
الهوى وابن الكؤوس وابن الطبيعة وابن الموسيقى ، ولولا نزوعه
الى التكلف البغيض ، ولولا معاطاة غير الشعراء له ، لكان جديراً
به ان يكون المثل الأعلى للشعر الصحيح » .

وقول ابن بسام في (ذخيره) : « وهي (اي الموشحات) أوزان
أكثر استعمال أهل الاندلس لها في الغزل أو النسيب ، تُشَقُّ

على سماعها مصونات الجيوب ، بل القلوب »

ويذهب المستشرق الافرنسي ديمونين الى « ان الشعر العربي في اسبانيا وجد تربة صالحة جداً للازدهار ، واكتسب فيها عفوية فياضة ، وتذوقاً للطبيعة والحياة » .

وذكر يوسف أشباخ المؤرخ الألماني في (تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين) : « ان المرابطين كانوا يطاردون العلماء الذين يخرفون عن معتقداتهم .. ويعملون على تحطيم الروح الشعرية الاندلسية التي كانت تجدد متعتها في قريش الفروسية والقصاص المفرق ... ولم تطل سيادتهم أكثر من نصف قرن ، كما ان اواخر ملوكهم قد غمروا بسحر التمدن دون أن يشمروا ، فكفوا عن مطاردة الحضارة والثقافة العربية ، ومالوا الى مصادقة الشعراء والعلماء ولا سيما اوائك الذين شادوا في نظمهم ونثرهم بمدح حكومتهم وغزواتهم .. وقد أفادت سيادة المرابطين روح الشعب الاندلسي خلت مكان الفروسية الهائلة ، والملاهي الناعمة ، والدعابة المصطنعة ، والفتور النسوي :

روحٌ حربية قوية ، واعتدال متقشف ، وذكاء فطري ، ورجولة
متينة .

ولم يبدِ الموحدون من الغلو في مطاردة الثقافة مثلما أبداه
أسلافهم .. وقد شجعوا كثيراً من العلوم ، وغمرت الشعب موجة
من الرخاء ، وهو من العناصر المشجعة للتقدم العقلي في الشعوب «
(٢٥١/٢) .



الخاتمة

وبعدُ فقد بسطت دونك صفحة من الأدب والعلم ، توخيت فيها التقريب والفائدة ، ووضعت خلفها فكرة شعرت بها كما شعرتُ ، وعرفت كما عرفت ، وهي ان هذا الضرب من الأدب صورة عن ماضٍ حبيب ، وصرخة لزمانٍ ممسول ، كان أيام انسام الرقعة ، وامتداد الملك ، واثلاق الحضارة .

كان أيام حيرة الاقوام الباقية ، وضلة الافهام النائية ، وحلقة الاوطان المتعادية .

ولكن الدهر دول ، فما ضرب من ضربته ، حتى ضاع المجد من أيدي أصحابه ، واستبدل أهل الحيرة بحالهم خيراً ، فاذا نحن في الضلة والحيرة ، وادام في اليقظة والبناء .

ذلك اننا استبدلنا بالجدهو ، وتبدلوا باللهو جداً ؛ واتنا بتنا أميل الى الطرب واللذة ، واصبحوا أسبق الى التعب والانتاج ؛ وكذلك تتغير الاحوال بتغير الاخلاق ، وتضيع الممالك بامتهان القيم ، وتزول الامجاد في الانغماس بالاهواء .

فليكن اذن عملنا في سبيل الحق واليقظة والصدق ، ولننتفع
بالدروس التي سطرها لنا التاريخ ، وليد كثره البحث الذي كنا
فيه ، بما كان لنا في غابر الدهر ، وكيف غاض بين سمع الارض
وبصرها ، عسى ان نعتبر في سبيل البناء الجديد .

وبعد ، فربما وقع في الطبع او الصنع بعض ما يمكن أن يقع ،
وهو مما لا يبرأ منه الجهد ، ولا يمرى منه الخلق ، ولا
يخفى على الاريب .